الباب السادس

تناقض مع قضايا الأمة

الفصل السابع عشر

احتلال الأحواز العربية

الفصل السابع عشر

احتلال الأحـواز العـربية

تقع إمارة الأحواز العربية إلى الجنوب الشرقي من العراق، وهي محصورة بين خطي العرض ٣٠ و٣٣ درجة شمالاً، وبين خطي الطول ٤٨ و٥١ درجة شرقاً، وبهذا يكاد يكون امتداد إقليمها من الشرق إلى الغرب مساوياً تقريباً لامتداده من الشمال إلى الجنوب، حيث يبلغ طوله ٤٢٠ كم، وعرضه ٣٨٠ كم.

بعد احتلال إيران لها سعت إلى تغيير كُل معالمها العربية دون استثناء، فكانت أنْ بدأت بتغيير اسمها من إمارة (الأحواز) إلى تسمية (عربستان)، ومعناها في اللغة الفارسية (بلادُ العرب)، ثم عادوا وأطلقوا عليها اسم (خوزستان)، ومعناها بالفارسية أيضاً (بلاد القلاع والحصون).

يبلغ تعداد سكان إمارة الأحواز ثمانية ملايين نسمة، وجميعهم من العرب الأقحاح كابراً عن كابر. وتبلغ مساحتُها (٣٧٠,٠٠٠ كم٢) ثلاث مئة وسبعين ألف كيلومتر مربع، يحدُها من الغرب العراق، ومن الجنوب الغربي الخليج العربي والجزيرة العربية، ومن الشمال والشرق والجنوب الشرقي جبال زاجروس والفاصل الطبيعي بين الأحواز وإيران.

يعود تاريخ الأحواز إلى عصور سحيقة، فنحن نجد ذكر الأحواز في التاريخ العربي الإسلامي بشكل كبير، كما في كتاب البداية والنهاية وتاريخ الطبري وآثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد بن محمود القزويني، وجاء في لسان العرب: (الأحواز هي سبع كور بين البصرة وفارس، لكل واحدة منها اسم، وجمعها الأهواز أيضاً).

بعد انتصار القادسية قام أبو موسى الأشعري بفتح الأحواز، وظل إقليم الأحواز منذ عام ٦٣٧م إلى ١٢٥٨م تحت حكم الخلافة الإسلامية تابعاً لولاية البصرة، إلى أيام الغزو المغولي. ثم نشأت الدولة المشعشعية العربية (١٤٣٦م-١٧٢٤م)، واعترفت الدولتان الصفوية والعثمانية باستقلالها، ثم نشأت الدولة الكعبية (١٧٢٤م-١٩٢٥م) وحافظت على استقلالها كذلك. وبعد تأهيل نهر كارون وإعادة فتحه للتجارة وإنشاء خطوط سكك حديدية أصبحت مدينة الأحواز مرة أخرى نقطة تقاطع تجاري.

وأدى شق قناة السويس في مصر إلى زيادة النشاط التجاري في المنطقة حيث تم بناء مدينة ساحلية قرب القرية القديمة للأحواز، وسميت ببندر الناصري تمجيداً لناصر الدين شاه قاجار. وبين عامي ١٨٩٧م و١٩٢٥م حكمها الشيخ خزعل الكعبي الذي غير اسمها إلى الناصرية.

وبعد عام ١٩٢٠م، باتت بريطانيا تخشى من قوة الدولة الكعبية، فاتفقت مع إيران على إقصاء أمير الأحواز وضم الإقليم إلى إيران. حيث منح البريطانيون الإمارة الغنية بالنفط إلى إيران بعد اعتقال الأمير خزعل على ظهر طراد بريطاني، حيث أصبحت الأحواز وعاصمتها المحمرة محل نزاع إقليمي بين العراق وإيران.

ولم ينفك النزاع قائماً على الأحواز بعد استقلال العراق، حيث دخلت الحكومات العراقية المتلاحقة مفاوضات حول الإقليم، وعقدت الاتفاقيات بهذا الصدد منها اتفاقية ١٩٣٧م ومفاوضات عام ١٩٦٩م واتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥م بين شاه إيران محمد رضا بهلوي ونائب الرئيس العراقي صدام حسين الذي ما لبث أن ألغى الاتفاقية في أثناء الحرب العراقية الإيرانية بين عامي ١٩٨٠م – ١٩٨٨م، حيث أعلن عائدية الأحواز للعراق، غير أن غالبية الأحوازيين قاوموا القوات العراقية.

دخل الجيش الإيراني مدينة المحمرة بتاريخ ١٩٢٥م لإسقاطها وإسقاط آخر حكام الكعبيين، وهو خزعل جابر الكعبي وكان قائد القوات الإيرانية هو رضا خان، ويعد السبب الأصلي لاحتلال إيران لهذه المنطقة إلى كونها غنية بالموارد الطبيعية (النفط والغاز) والأراضي الزراعية الخصبة، حيث بها أحد أكبر أنهار المنطقة، وهو نهر كارون الذي يسقي سهلاً زراعيًّا خصباً تقع فيه مدينة الأحواز، فمنطقة الأحواز هي المنتج الرئيس لمحاصيل مثل السكر والذرة في إيران اليوم. وتساهم الموارد الموجودة في الأحواز بنحو نصف الناتج القومي الصافي لإيران وأكثر من ٨٠٪ من قيمة الصادرات في إيران. وهناك قول معروف للرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي يقول فيه: (إيران با خوزستان زنده است) ومعناه: (إيران تحيا بخوزستان).

وقد كان سكان المحمرة ومعظم منطقة الأحواز قبل الاحتلال في غالبيتهم عرباً، وكانت إمارة المحمرة هي مركز الحكومة، ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن يسعى المحتل الإيراني إلى زيادة نسبة غير العرب في الأحواز وتغيير الأسماء العربية الأصلية للمدن والبلدات والأنهار وغيرها من المواقع الجغرافية في

المنطقة. فمدينة المحمرة على سبيل المثال غيرت الحكومة الإيرانية اسمها إلى خورمشهر، وهي كلمة فارسية بمعنى البلد الأخضر.

أهم المدن العربية بالأحواز:

(١) مدينة الأحواز: تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة المحمرة، وهي عاصمة إمارة الأحواز، يلفظها الفرس بـ: (الأهواز) لأنه ليس في كلامهم حرف يماثل حرف (الحاء) العربي، فيلفظونه (هاء)، يقسمها نهر كارون الذي يمرُّ فيها إلى ضفتين هما: الناصرية والأمنية.

(٢) مدينة وميناء المُحمرة: تقع عند مصب نهر كارون في شط العرب، تبعد عن مدينة الأحواز (١٢٠ كم)، أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية بـ (خرمشهر).

(٣) مدينة وميناء عبادان: تقع على شط العرب جنوب المحمرة بنحو (١٨ كم)، في جزيرة تحيط بها المياه من جميع جهاتها هي (جزيرة خضر)، وتسمى عبادان أيضاً (جزيرة المحرزي)، أما سبب تسميتها بـ(عبادان)، فكان نسبة إلى القائد العربي (عباد بن الحصين)، أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية (آبادان).

(٤) مدينة الحويزة: تقع على نهر الكرخة شمال غربي مدينة المحمرة في اتجاه محافظة ميسان (مدينة العمارة) العراقية، أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية (دشت ميشان).

(٥) مدينة تستر: وهي غوطة الأحواز الخصبة ذات المياه الوفيرة، أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية (شوشتر).

(٦) مدينة السوس: وهي مدينة تاريخية حضارية يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، وهي عاصمة الأحواز في العهود الأكادية، والعيلامية، والسومرية، والبابلية، والآشورية على التوالي، أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية: (الشوش).

(٧) مدينة قنطرة القلعة: تقع على نهر الدز، وأراضيها عبارة عن تلول متوازية، أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية: (دزفول/ ديزفول/دسبول).

(٨) مدينة الفلاحية: تسمى عربيًّا (الدورق) أيضاً، تقع على نهر الجراحي، تُعدُّ مركز أمراء إمارة الأحواز قبل بناء مدينة المُحمرة، سكنها قبائل بنوكعب، أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية: (شادكان).

(٩) مدينة مسجد سليمان: تقع في أقصى شرق إمارة الأحواز، وتتركز فيها آبار النفط.

(١٠) مدينة الخفاجية: أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية (سوسنكرد).

(١١) قرية الملا: تسمى عربيًّا (البسيتين) أيضاً، أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية (بستان).

(١٢) مدينة الصالحية: أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية: (أندمشك/أنديمشك).

(١٣) مدينة الأحجار السبعة: أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية (هفتكل).

(١٤) مدينة الحميدية: أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية (فرح آباد).

(١٥) مدينة العميدية: أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية (أميدية) لخلو اللغة الفارسية من حرف العين وعدم تمكن الفرس من نطقه.

(١٦) ميناء خور عبدالله: أبدل الفرس اسمها العربي إلى التسمية الفارسية (بندر شابور- في عهد الشاهنشاهية العُنصري- أما في عهد نظام الملالي، فقد أطلق عليه: بندر خميني).

الحكومة الإيرانية، شأنها شأن الكيان الصهيوني المُحتل لفلسطين العربية، دأبت بكل ما تملك من وسائل إلى طمس ما يؤكد الهوية العربية لإمارة الأحواز، بما فيها التضليل بشأن المساحة الجغرافية الحقيقية للإمارة، ولتحقيق هذه الغاية الفاشستية العنصرية، فقد اقتطعت الحكومة الإيرانية عام ١٩٣٦م المئات من الكيلومترات من مساحة الإمارة، وضمتها إلى المحافظات الإيرانية/الفارسية المجاورة لإمارة الأحواز، تحت مُبرر تحديث التنظيمات الإدارية، وما يؤكد عدم صدق الحكومة الإيرانية في ادعائها هذا، أن تحديث تلك التنظيمات شمل فقط المدن العربية الواقعة ضمن إمارة الأحواز دون غيرها من المحافظات الإيرانية الأخرى.

لقد تم اقتطاع أحد عشر ألف كيلو متر مربع من الجزء الجنوبي لإمارة الأحواز وضمها لمحافظة فارس، وتم اقتطاع عشرة آلاف كيلومتر مربع من الجزء الشرقي للإمارة وضمها لمحافظة أصفهان، واقتطعت أربعة آلاف وأربع مئة كيلو متر مربع من الجزء الشمالي، وضمت لمحافظة لورستان.

ويُمكن الجزم أنَّ إجراءات الاحتلال الإيراني، هي على ذاتِ منوال إجراءات الكيان الصهيوني في تعامله مع المُدن والقرى الفلسطينية، التي كان - ولا يزال - يسعى بكُلِ الطرق إلى ضمها وهضمها واستيعابها، وهو كذلك على ذات منوال قضمهِ للأراضي العراقية الحُدودية، منذُ الغزو والاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣م ولغاية أنْ أصبح ذلك الغزو والاحتلال تحالُفاً.

وعلى الرغم من أن الموقف العربي الرسمي كان مؤيداً وداعماً للقضية الأحوازية في البداية، ولا سيما في عقدي الخمسينيات والستينيات من العقد الماضي، فيذكر التاريخ أنه عام ١٩٦٤م أدرجت قضية عرب الأحواز على جدول أعمال مؤتمر القمة العربي الأول المنعقد في القاهرة، وكانت قرارات القمة حاسمة ومواقف قادتها واضحة وداعمة لهذه القضية، فكان من ضمن قرارات القمة إدراج قضية الشعب العربي الأحوازي في المناهج الدراسية العربية، والإعلام العربي إلى جانب قضايا العرب الأخرى كقضية فلسطين والمدن المغربية المحتلة (سبتة) (ومليلة)، وقضية الشعب الأرتيري.

إلا إنه مع مرور الأعوام وتوالي العقود، وتغير المواقف، غابت قضية الأحواز أو غيبت، وأضحى النسيان هو العنوان الرئيس لهذه القضية على الصعيد الرسمي، إلا من بعض المواقف العابرة التي لا تكاد تذكر، مقارنة بما يجب أن يكون، لقضية أمة واحدة، وجسد واحد ، ودم مشترك.

والإجرام الذي تمارسه إيران حق هذا الشعب العربي فاق حدود المعقول، وأظهر طائفية بغيضة ضد العرب المسلمين، ولم يتوقف عند مصادرة الحقوق الثقافية والممتلكات الشخصية فحسب، بل تعداه إلى مصادرة الحرية والحياة نفسها بسلاسل من الاعتقالات القمعية المتواصلة، ناهيك عن القتل المتعمد

والاغتيالات المستمرة في أثناء وقبل وبعد كل تحرك أحوازي، نتيجة الضغط الرهيب والتفرقة في المعاملة، هذه العنصرية البغيضة شملت كل مرافق الحياة على تنوعها، فيقدم الفارسي على العربي في جميع التعاملات اليومية لسبب واحد هو فارسيته فحسب.

إيران التي تحتل إقليم الأحواز العربي، والجزر الإماراتية الثلاث منذ عام ١٩٧١م، وتردد المزاعم في حق البحرين بين الفينة الأخرى، لا تعترف إلا بالقومية الفارسية، وتاريخها القديم والحديث لا يعرف سوى العداء والكره الشديدين للعرب، ولن تتوقف أطماعها الاستيطانية والتوسعية عند هذا الحد فحسب، فما الأحواز سوى نواة لأحواز جديدة على خريطة إيران التوسعية، وهي بذلك لا تقل خطراً عن دولة الكيان الصهيوني، وربما يكون خطرها أشد وأنكى؛ لأن إسرائيل عداؤها معلن وأطماعها ظاهرة للعيان، أما إيران فتتستر تحت غطاء الإسلام وادعاء الهم الواحد والعدو المشترك.

منذ اليوم الأول قامت الثورات في مواجهة المحتل الإيراني الذي مارس سياسة الأرض المحروقة التي كان يتبعها الاستعمار في ذلك الوقت ، فقاموا بتدمير القرى والمدن العربية الأحوازية وتم إعدام الشباب الأحوازي دون أي محاكمة أو فرصة للدفاع عن أنفسهم من أجل إرهاب باقي الأهالي. وحتى الآثار لم تنجُ من التدمير والتخريب من أجل طمس هوية الأحواز العربية وإنهاء ارتباطها التاريخي بعروبتها وربطها بالتاريخ الفارسي، فعمدت إيران إلى تزوير التاريخ والادعاء بحقها في الأحواز التي غيرت اسمها، كما قامت بتغيير أسماء المدن العربية إلى أسماء فارسية، ولم تنجُ الأسماء الشخصية

من التفريس، فكل الأسماء العربية تم تحويلها إلى أسماء فارسية، ولم يعد من حق أي أسرة أن تسمي أولادها إلا بأسماء فارسية.

ولم تكتفِ الحكومات الإيرانية بذلك، بل سعت لعملية التهجير للقبائل العربية المقيمة في الأحواز إلى مناطق الشمال الإيراني واستجلاب سكان هذه المناطق إلى الأحواز وإسكانهم فيها، ومارست سياسة التجويع للشباب الأحوازي نتيجة انعدام فرص العمل ومن أجل إجباره على الهجرة نحو الداخل الإيراني، ومن ثم يتم إبعادهم عن وطنهم وأهلهم وانتمائهم ولصقهم بمناطق جديدة بعادات وأعراف جديدة، أو الهجرة خارج البلاد وفقدهم لهويتهم العربية من خلال ارتباطهم بمعيشتهم وهمومهم الخاصة.

ولم يسلم التعليم من التفريس، فاللغة الفارسية هي اللغة المعتمدة بالتعليم، وحتى هي اللغة الرسمية الوحيدة بالبلاد (علمًا بأن الفرس في إيران يشكلون ثلاثة أخماس السكان، حيث يتوزع الخمسان الباقيان على كل من الأذربيجان والكرد والعرب والأرمن والآشوريين والبلوش) ومع ذلك، فإن التعليم فقط للمرحلة الابتدائية، ولا توجد مدارس للتعليم العالي، وغاية التعليم الابتدائي هو فقط لفرض اللغة الفارسية على السكان.

وتوسم الأحوازيون خيراً بعد قيام الثورة الإسلامية إلا أن آمالهم خابت، حيث استمرت إيران تجاه الأحواز بالسياسة نفسها التي كانت أيام الشاه، بل إن الأمور ساءت عن السابق بسبب الحرب الإيرانية العراقية التي استمرت ثمانية أعوام، وقف خلالها الشعب العربي في الأحواز إلى جانب أشقائه العراقيين.

وتتلخص الإجراءات التعسفية التي مارستها السلطات الفارسية ضد الشعب العربي الأحوازي - وما زالت حتى اللحظة - في الآتي:

- إلغاء مؤسسات الحكم العربي السياسية والإدارية والقضائية في الأحواز، وإعلان الحكم العسكري المباشر، حيث أقيمت الثكنات العسكرية والمعسكرات، وضم الإقليم إلى الأراضي الإيرانية.

- إنكار حق تقرير المصير للشعب الأحوازي، والحرمان من أبسط الحقوق والحريات السياسية التي تقضي بحق الشعب في المشاركة في حكم بلده سواء بصورة مباشرة أو عن طريق ممثلين عنهم.

- اقتطاع أجزاء من الإقليم وضمها إلى المحافظات الفارسية، وتغيير الملامح العربية للإقليم مثل تغيير اسمه من (عربستان) إلى (خوزستان)، وكذلك (تفريس) أسماء كثير من المدن وأسماء الشوارع والميادين بهدف طمس الهوية العربية.

- فرض الضرائب الباهظة على أبناء الأحواز واستخدام كل أنواع الاضطهاد ضدهم، كتهجيرهم إلى المدن الفارسية، وإحلال الأسر الفارسية محلهم بعد مصادرة أراضي العرب وأملاكهم.

- منع الحكومة الفارسية المحاكم (الأحوازية) من الترجمة للغة العربية وإليها، فوضعت بذلك أكبر عائق أمام المواطن الأحوازي لضمان حقوقه بمراجعة المحاكم.

- مصادرة جميع الكتب العربية الموجودة في الأحواز، سواء ملك المكتبات أو الأشخاص، ومن ثم منع تدريس اللغة العربية في المرحلة

الابتدائية على الرغم من وجود المادة ١٥ من الدستور الإيراني التي تنص على ضرورة تدريس لغة القوميات غير الفارسية في المدارس الابتدائية، ولكن السلطة الإيرانية لم تطبق هذه المادة على الرغم من مرور عشرات السنوات من المصادقة عليها، وبصفة عامة إهمال شؤون التعليم، وانعدام الرعاية الصحية.

- التباطؤ في عملية إعادة إعمار ما دمرته الحرب العراقية الإيرانية، والتجاهل المتعمد لمشكلة الألغام التي خلفتها تلك الحرب؛ وذلك يتسبب في مقتل وجرح المئات من أبناء الأحواز، ذلك على الرغم من المساعدات المالية الدولية التي تتلقاها إيران في هذا المجال.

- حرمان الشعب الأحوازي من مياه الشرب والزراعة من خلال تغيير مسار روافد نهر (كارون) في اتجاه المناطق الفارسية مثل (أصفهان)، أو من خلال السعي لتنفيذ مشروعات لتصدير هذه المياه إلى دول الخليج المجاورة.

- انتزاع الحكومة الفارسية الأراضي الزراعية من أصحابها العرب وإقامة مستوطنات فارسية تحت غطاء مشروعات صناعية زراعية مثل مشروع (قصب السكر).

- عقد الحكومة الإيرانية اتفاقيات مع دول أو شركات أجنبية في مجال استثمار ثروات نفط الأحواز، على الرغم من أحقية الشعب الأحوازي في التحكم في هذه الثروات.

- ومنذ احتلال الإقليم تفجرت ثورات وحركات مقاومة (أحوازية)، وكانت البداية بعد ٣ أشهر من الاحتلال بثورة شعبية سميت

(ثورة الغلمان)، وتوالت الانتفاضات والثورات، مثل ثورة الحويزة ١٩٢٨م، وثورة بني طرف ١٩٣٦م، ومعركة الشيخ عبدالله بن الشيخ خزعل ١٩٤٤م، وثورة عشيرة النصار ١٩٤٦م، وغيرها الكثير.

وتنوعت مقاومة الشعب الأحوازي بين المقاومة السلمية والعسكرية. وقد تكوَّن أول حزب سياسي منظم عام ١٩٤٦م عرف باسم حزب السعادة، وبعدها تشكلت منظمات ثورية وسياسية أخذت على عاتقها مقاومة المحتل، ومنها: (منظمة الجماهير الثورية الأحوازية)، و(حركة التحرير الوطني الأحوازي)، و(الاتحاد العام لطلبة وشباب الأحواز)، و(المجلس الوطني الأحوازي)، و(الجبهة العربية لتحرير الأحواز)، وغيرها كثير من المنظمات الثورية الأخرى التي تأثرت بحركات التحرر العربية.

الفصل الثامن عشر

الجزر العربية.. ما معنى الاحتلال؟

الفصل الثامن عشر

الجزر العربية.. ما معنى الاحتلال؟

إذا كان الكثيرون في العالم العربي يتعاطفون مع إيران بخصوص برنامجها النووي، وما يظهر من مواقفها أنها ضد قوى الاستكبار العالمي، فإن هؤلاء يتناسون أن إيران حالها كحال إسرائيل، فكلتا الدولتين تحتل وتغتصب أرضًا عربية، وكلتا الدولتين تستعرض عضلاتها العسكرية على دول الجوار، وكلتا الدولتين تشترك في كرهها للعرب، فأين عقول هؤلاء؟

كل من إيران وإسرائيل طردت سكان الأراضي العربية التي تحتلها، فإيران قامت في صبيحة يوم ٣٠ نوفمبر عام ١٩٧١م، وقبل يوم من إعلان اتحاد الإمارات العربية، باحتلال الجزر الإماراتية الثلاث (أبو موسى وطنب الصغرى وطنب الكبرى) بالقوة العسكرية وانتهاك الاتفاقيات المبرمة واستغلالها للوضع آنذاك، وبتواطؤ من بريطانيا التي أغمضت عينيها لتترك المنطقة في وضع غير مستقر حتى الآن، واستمرت إيران بعدها في مضايقة سكان جزيرة أبو موسى حتى عام ١٩٩٢م حيث قامت بمنعهم في النزول إلى الجزيرة، وأعادتهم إلى الشارقة، وأصبحوا في العرف الدولي (مهجرين).

وهذا يماثل تماماً ما قامت به إسرائيل، وبتواطؤ من بريطانيا، في فرض سيطرتها واحتلالها للأراضي العربية الفلسطينية، وتتفنن كل يوم في طرد وتهجير الفلسطينيين من أراضيهم، حتى أصبحوا يعيشون في معسكرات اللجوء في الدول المجاورة.

لقد اعتقد الكثيرون في العالمين العربي والإسلامي أن ما حدث من احتلال إيراني للجزر العربية الإماراتية في عهد الشاه العلماني لا يمكن أن يستمر في عهد الثورة التي رفعت شعارات الإسلام والوحدة الإسلامية. ولكن ما حدث كان أكثر بشاعة، فلم تتغير السياسة الإيرانية تجاه الجزر المحتلة منذ قيام الثورة وبعد سقوط الشاه، وبقيت هذه السياسة كما كانت، بل زاد جبروتها على دول الجوار، وتفننت إيران في استعراض قوتها على دول الخليج وتمادت في إطلاق التصريحات الاستفزازية بخصوص هذه الدول، فيتحدثون باستمرار عن أن البحرين محافظة إيرانية وجزء من إيران، ولا يطلقون على الخليج إلا وصف (الفارسي) فيقولون: (الخليج الفارسي) ويطمسون حقيقته العربية.

مطامع إيران في منطقة الخليج العربي هي مطامع تاريخية عمرها أكثر من ألفي وخمس مئة سنة. ومهما حاولت إيران قبل وأثناء وبعد كل مناورة تقوم بها أن تؤكد نياتها الطيبة تجاه جيرانها على الضفة الأخرى من الخليج العربي، إلا أن ذلك لا يعني أن القوة الإيرانية المتعاظمة وُجدت فقط لحماية الخليج بضفتيه من الصهيونية والغرب. فإيران لا تزال تحتفظ بجزر خليجية عربية ذاتَ أبعاد جيو إستراتيجية، تابعة لإمارتي رأس الخيمة والشارقة، وهو احتلال تصفه إيران بأنه ناتج عن سوء فهم في حين تصفه دولة الإمارات العربية المتحدة بأنه احتلال.

يتردد في الأوساط الإيرانية أن إيران اشترت هذه الجزر من حكام رأس الخيمة (التي تتبع لها طنب الكبرى وطنب الصغرى) والشارقة (التي تتبع لها جزيرة أبي موسى) قبل قيام الاتحاد المتمثل في دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٧١م.

إن الكثير من المحللين الاقتصاديين يذهبون إلى أن ادعاء سيادة إيران على الجزر الثلاث ليس فحسب له أهمية جيو إستراتيجية وجيو سياسية، بل هو أيضاً له علاقة بالنفط والغاز في الجزر الثلاث. فثمة دراسات جيوفيزيائية تؤكد وجود كميات مهولة من النفط والغاز في هذه الجزر، يمكن أن تكون أكبر بكثير مما تنتجه دولة الإمارات العربية المتحدة، وربما دول الخليج قاطبة باستثناء المملكة العربية السعودية.

الإمارات تقول: إنها حرصت على عدم إثارة أزمات إضافية في المنطقة، ولم تشأ تصعيد موضوع الجزر، وظلت كذلك إلى ما بعد غزو صدام للكويت وتحرير الكويت، التزامًا بموقفها الأخلاقي في عدم إثارة القضية وعدم استغلال الوضع الذي كانت فيه إيران للضغط عليها للمطالبة بالجزر الثلاث المحتلة، واتبعت النهج السلمي لتسوية هذه المشكلة.

ولا تستغل دولة الإمارات العربية الوثائق التاريخية التي تؤكد عروبة الجزر الثلاث، فهناك وثائق بريطانية تعود إلى بدايات الوجود البريطاني في الخليج وهناك وثائق عثمانية تؤكد استقلالية إمارة (لنجة) العربية على السواحل الشرقية للخليج العربي، وإن هناك أيضاً وثائق إيرانية تعود إلى العقد الثالث من القرن الحالي تعترف ضمناً بتبعية الجزر الثلاث إلى إمارتي الشارقة ورأس الخيمة.

الوثائق تؤكد عروبة الجانب الشرقي من الخليج العربي بأكمله، بكل ما يحوي من جزر ومدن وموانٍ حيث إمارة الأحواز في الشمال التي كان يسكنها قبيل سقوطها تحت الحكم الفارسي عام ١٩٢٥م ما يزيد على مليوني عربي ينتمون إلى قبائل عربية عريقة، حيث كانت تقوم سلسلة من الإمارات العربية على امتداد ذلك الجانب إلى جنوب الخليج حيث إمارة (لنجة) العربية التي سقطت كلها تحت الحكم الفارسي.

الوثائق تؤكد ممارسة الحكام العرب لحقوقهم وملكيتهم لهذه الجزر من قبل عام ١٨٨٧م وإلى عام ١٩٧١م، وذلك يُعدّ كافياً لإعطاء الأحقية والملكية للإمارات استناداً لأحكام القانون الدولي.

ولكن يبدو أن نجاح تدخل إيران في الشؤون العراقية واللبنانية والفلسطينية واليمنية في الأيام الأخيرة، وكذلك صمت المجتمع الدولي عن اضطهاد النظام الإيراني للعرب والقوميات الأخرى داخل إيران، أغرى هذا النظام كي يتطاول على جيرانه العرب في دول الخليج، وأخاف في الوقت نفسه الدول العربية، حتى التي تحتل إيران جزءاً من أراضيها[٢].

لقد كان أحد مقترحات الإمارات هو عرض هذه القضية على محكمة العدل الدولية، ولكن إيران ترى أنها بقبولها لهذا الأمر سوف تضع ملكيتها لهذه الجزر موضع شك وتردد. والجزر الثلاث تبعد عن الإمارات نحو ٢٣ ميلاً تقريباً، بينما تبعد عن إيران ٤٣ ميلاً، وجزيرتا طنب الكبرى والصغرى تقريباً غير مسكونتين. وتقع هذه الجزر في طريق عبور السفن العالمية. جزيرة أبو موسى ذات موقع إستراتيجي؛ إذ من خلالها يمكن التحكم في مضيق هرمز، في هذه الجزيرة تعيش ٣٠٠ أسرة إماراتية كانوا يرغبون

في العودة إلى بلادهم، ولكن دولة الإمارات كانت تمنحهم معاشاً شهرياً بأمر من الشيخ زايد بن سلطان؛ لتشجيع هذه الأسر على البقاء فيها. وكانت إيران قد رفضت اقتراح الإمارات بعرض القضية على محكمة العدل الدولية، وعقدت مباحثات ثنائية مع الإمارات في يونيو ١٩٩٩م طبقاً لاتفاقية ١٩٧١م، وشكل مجلس التعاون الخليجي لجنة ثلاثية بهدف الوساطة بين الطرفين، ولكن إيران رفضت هذه اللجنة، وبعد تحسن العلاقات الإيرانية ـ السعودية بدأت الرياض مساعيها بهدف عمل توازن للعلاقات بين إيران ودول مجلس التعاون.

الكاتب الإيراني (حميد تقوى بور) يرسم سيناريو لحل أزمة الجزر كالآتي:

(١) تخلي إيران عن ادعائها بخصوص جزيرة أبو موسى.

(٢) في إطار مذكرة التفاهم الثنائية بين إيران والشارقة سنة ١٩٧١م يتم تعديل المادة الأولى من المذكرة التي بموجبها:

(أ) سيتم صرف النظر عن أحقية إيران في جزيرة أبو موسى.

(ب) اعتراف إيران رسمياً بهيمنة الإمارات (الشارقة) على أبو موسى.

(٣) رفض أي وجود عسكري لأي طرف ثالث في أبوموسى.

اتفقت الدولتان على أن أمن الجزيرة هو مسؤولية مشتركة للدولتين، إضافة إلى عدم وجود أي قوة عسكرية لطرف ثالث بحراً أو برّاً دون موافقة مشتركة ومسبقة من البلدين (إيران والشارقة).

(٤) اعتراف الإمارات رسمياً بأحقية وسلطة إيران على جزر طنب الكبرى والصغرى.

يتم اعتراف الإمارات العربية المتحدة (إمارة رأس الخيمة) رسميًّا دون قيد أو شرط بهيمنة وأحقية إيران في جزر طنب الكبرى والصغرى، وذلك وفقاً للآتي:

(أ) تقسيم الدخل النفطي في جزر طنب:

في حالة كشف مصادر نفطية أو غازية في جزر طنب أو فيما يحيط بها عن طريق إيران أو الإمارات، فإنها ستقسم طبقًا لقاعدة اتفاق مصالح البلدين، وسوف يصدر قرار استخراج المصادر الموجودة في جزء طنب من جانب إيران دون قيد أو شرط.

وتتفق الدولتان على أن جزر طنب الكبرى والصغرى لها الاعتبارات القانونية نفسها التي منحت عام ١٩٦٩م في إطار الاتفاقية الإيرانية، السعودية حول جزيرة (خارك).

(ب) حرية الملاحة:

يتفق الطرفان (إيران والإمارات) على أنه ليس من حق أي منهم منع عبور السفن التابعة للطرف الآخر، ولا يتدخل فيها، وعلى سبيل المثال لا يجوز للإمارات منع سفن إيران المتجهة إلى سيري وأبو موسى عبر المياه الإقليمية التابعة للإمارات.

(ج) التنسيق فيما بين الطرفين:

فيما يختص بالنفط والغاز أو سائر المصادر المعدنية البحرية الموجودة لدى الطرفين في الحدود البرية أو البحرية أو المياه الإقليمية يتم استخراجها

عن طريق حفارات، وذلك من خلال التنسيق بين الطرفين بشكل لا يخل بمصالح طرف عن آخر.

(د) التزام جميع الإمارات المشكّلة لدولة الإمارات العربية المتحدة:

على خلاف إيران، فإن دولة الإمارات العربية المتحدة دائماً لها رؤى مختلفة ودائماً يتحدث رئيس دولة الإمارات باسم كل الإمارات، في حين أن الإمارات السبع لها وجهات نظر مختلفة بخصوص موضوع الجزر (الشارقة ورأس الخيمة).

ولهذا، فإن الاتفاق بين إيران والإمارات بخصوص الجزر يجب أن يكون بتأييد كتابي ودون قيد أو شرط من جانب الإمارات المشكلة لدولة الإمارات العربية، وخاصة إمارتي الشارقة ورأس الخيمة.

(هـ) ضمان الطرف الثالث:

من المهم أن يضمن مجلس التعاون الخليجي ومنظمة الأمم المتحدة اتفاقية إيران والإمارات بخصوص الجزر؛ لأن القيام بهذا العمل يضمن عدم إخلال أحد الطرفين ببنود الاتفاق حول الجزر، وتشير تجربة إيران في منطقة الخليج (الفارسي) إلى أن التباحث دائماً لن يؤدي إلى حل، وخير مثال على ذلك الاتفاق بين العراق وإيران عام ١٩٧٥م الذي كان بعد عشرات السنين من الخلاف، وهناك مثال آخر، وهو مذكرة التفاهم بين إيران والشارقة عام ١٩٧١م بخصوص جزيرة أبو موسى، وكانت هذه المذكرة موضع تأييد وترحيب أمير الشارقة ونائبه الذي رحب شخصيًّا بدخول القوات الإيرانية إلى الجزيرة في ٣٠ نوفمبر ١٩٧١م، ووقتها اتهم أمير الشارقة (بأنه باع نفسه لإيران).

وبشكل عام، يمكن أن نشير إلى السيناريوهات الأخرى المحتملة لحل الخلاف حول الجزر، وأهمها:

(١) الصمت تجاه القضية والاكتفاء برفض البيانات الختامية التي تصدر عن مجلس التعاون الخليجي، وذلك مثلما حدث لإيران في بحر قزوين، وانتهى الموضوع إلى إحالته إلى المراجع الدولية مثل منظمة الأمم المتحدة.

(٢) إحالة الموضوع إلى الوساطة أو التحكيم الذي لن يكون حلاً مرغوبًا؛ لأنه من الممكن أن تكون مصالح الطرف الثالث (تصب) وتتوافق مع مصلحة الإمارات، وهذا لن يكون موضع رضا إيران، ومثال ذلك رفض إيران اللجنة الثلاثية لمجلس التعاون الخليجي، ومن ناحية أخرى، فإن عرض الخلاف القائم بخصوص الجزر على محكمة العدل الدولية يمكن أن يلزم إيران بقرارات لن تستطيع رفضها أو التقاعس عن تنفيذها.

(٣) وفي حالة حل الخلاف عن طريق المباحثات الثنائية مع الإمارات، فإيران بهذا ستواجه خيارين:

الأول: عقد سلسلة من الاتفاقيات مع الإمارات السبع منفصلة كما ذكر من قبل حول إحدى الجزر، وهذا الأسلوب أيضاً لن يكون في مصلحة إيران.

الثاني: وهو الأمر الأكثر أهمية، ويتعلق بالعمل على تدعيم العلاقات الاقتصادية والثقافية وزيادة الاستثمارات المشتركة، وإيجاد مناطق للتجارة الحرة في الجزء موضع الخلاف في مجال التربية والتعليم، مثل إنشاء اتحاد لجامعات الخليج (الفارسي)، وتبادل البعثات التعليمية والطلاب اللاعبين والمدربين مع الإمارات[٣].

الهوامش:

(١) د. علي الهيل، الخليج العربي: بريطانيا أساس البلاء.. إيران والجزر الإماراتية وفلسطين، صحيفة القدس العربي، ٢٠١٠/١٧/٥م.

(٢) محمد الحمادي، جزر الإمارات المحتلة وشاهنشاهية الملالي، صحيفة (الاتحاد) الإماراتية، ٢٦ يوليو ٢٠٠٧م.

(٣) حميد تقوى بور، إيران والإمارات وقضية الجزر الثلاث، صداي عدالت (صوت العدالة)، ١٠، ١١ / ٩ / ٢٠٠٢م.

الفصل التاسع عشر

أفغانستان.. ذهول التواطؤ

الفصل التاسع عشر

أفغانستان.. ذهول التواطؤ

كان موقف إيران عدائيًّا ومعروفاً للجميع من حركة (طالبان) إبَّان حكمها لأفغانستان، وقد أدى هذا العداء، الذي يبدو أنه عداء ديني مذهبي في جانب كبير منه، إلى أن تقوم إيران التي تدَّعي أنها تدافع عن الإسلام والمستضعفين، بمساعدة الولايات المتحدة في حربها العدوانية ضد الحركة عام ٢٠٠١م؛ من أجل القضاء على نظامها الإسلامي السني.

كانت علاقة إيران سيئة وعدوانية بالحكم الوطني الذي مثلته (طالبان)، والذي حافظت من خلاله على الأمن والسلام في هذا البلد، ثم أصبحت هذه العلاقة جيدة ومتينة مع نظام الحكم العميل وغير الوطني الذي مثله حامد قرضاي، الذي عمل بأمر المحتل الأمريكي، واكتسب شرعيته من حماية هذا الاحتلال.

العلاقات القوية بين النظام الإيراني ونظام قرضاي العميل في أفغانستان، عبَّرت عن نفسها بالزيارة التي قام بها الرئيس الإيراني السابق (محمد

خاتمي) إلى العاصمة كابل في أغسطس ٢٠٠٢م، في أول زيارة رفيعة المستوى منذ ٤٠ عاماً.

ومنذ سقوط (طالبان) - العدو المذهبي والأيديولوجي لإيران - عززت الدولة الفارسية علاقاتها التجارية بأفغانستان؛ حيث وقَّع البلدان كثيراً من الاتفاقات التجارية في يناير ٢٠٠٣م، وقدمت إيران لأفغانستان خصمًا قيمته ٩٠٪ على الرسوم والتعريفات المفروضة على السلع المصدرة من خلال منطقة التجارة الحرة في (شاباهار)، ونمت التجارة الإيرانية ـ الأفغانية من أقل من ١٠ ملايين دولار عام ٢٠٠١م إلى ٥٠٠ مليون دولار عام ٢٠٠٦م، وفي منتصف عام ٢٠٠٧م أمدت إيران أفغانستان بأكثر من ٥٠٠ مليون دولار في شكل أرصدة دائنة.

وتقدم إيران مساعدات لأفغانستان تُعَد من قبيل الدعم العام لإعادة الإعمار؛ ففي يونيو ٢٠٠٦م وعدت طهران ببناء محطات توليد كهرباء ٥٢ ميجاوات في كابل بتكلفة نحو ٨٠ مليون دولار، وقدمت أيضاً ما يقرب من مليوني دولار للمساعدة على الإصلاحات الإدارية الأفغانية غير الحكومية، ومساعدة لجنة الخدمة المدنية لتدريب المسؤولين الحكوميين في (قندهار) و(هيرات) و(كابل) خلال عامي ٢٠٠٦م و٢٠٠٧م.

وساهمت إيران في بناء معهد اتصالات، وتوفير التدريب لموظفي البريد، وإنشاء برنامج لإرسال خبراء لتدريب المعلمين الأفغان، وفي الوقت ذاته تمكنت شركة (شهيدي كاندي) الإيرانية، بالتعاون مع شركة هندية، من إنشاء ١٥٠ ألف خط هاتف في كابل وقندهار ومزار شريف وجلال آباد.

فعلت إيران هذا، بل أكثر منه بكثير في مختلف أوجه الحياة الاقتصادية والعامة في أفغانستان، وكانت النتيجة الأساسية لهذا الدعم هي ربط غرب أفغانستان بإيران اقتصاديًّا وسياسيًّا أكثر من أي وقت مضى، خاصة أن المقاطعات الأفغانية الغربية أقرب لإيران منها إلى كابل، فمدينة أفغانية حدودية مثل (هيرات) تبعد عن الحدود الإيرانية بمقدار ٧٥ ميلاً، بينما تبعد عن كابل بمقدار ٦٥٠ ميلاً.

ولم يقتصر الدعم الإيراني لأفغانستان على الجوانب الاقتصادية، وإنما عملت طهران على تطوير علاقات ثقافية مع أفغانستان؛ حيث دعمت البرامج الدينية والتعليمية هناك، ولم تكتفِ إيران بعرض إرسال مدرسين إيرانيين لأفغانستان واستقدام المدرسين وعلماء الدين الأفغان إلى إيران للتدريب، بل بدأت برنامجاً لتشجيع تعليم وتعلم اللغة الفارسية في أفغانستان حتى في المناطق البعيدة عن حدود المقاطعات الغربية، وهو أمر سيكون له تأثير طويل المدى.

هناك كثير من الأمور التي يجب أخذها في الحسبان حول طبيعة الدور الإيراني في أفغانستان، ومن هذه الأمور أن طهران برهنت على قدرتها واستعدادها لزعزعة الاستقرار غرب أفغانستان، واستخدام العمال المهاجرين واللاجئين الأفغان بوصفها أدوات للمساومة مع كابل، وأدرك الأفغان بشكل واضح إستراتيجية (العصا والجزرة) من خلال طرد إيران الجماعي للاجئين بوصفه عصا، وبليون دولار من المساعدات والتجارة بوصفه جزرة[1].

عندما قامت حكومة طالبان السنية في أفغانستان، وسيطرت على كابل عام ١٩٩٦م، جن جنون إيران، فقامت بحشد الحشود على حدود أفغانستان،

وأخذت تهدد، وتتوعد طالبان بأنها ستجتاحهم، وتقضي عليهم، هكذا دون أي سبب، والذي جعلها تتراجع في حينها هو خوفها فقط من أن تغرق في مستنقع أفغانستان.

ولكن ما أن قررت الولايات المتحدة الأمريكية تشكيل قوات تحالف صليبية لمهاجمة أفغانستان لإسقاط حكومة طالبان والقضاء عليها بعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١م كانت القوات الإيرانية في طليعة هذه القوات، حيث التقى العداء المذهبي لأهل السنة مع العداء الصليبي، وبالفعل كانت القوات الإيرانية طليعة قوات التحالف الصليبية التي دخلت كابل، فقامت بارتكاب المجازر بأهل السنة وخصوصاً العرب، حيث قتلت إيران منهم الكثير، وأخذت الكثير منهم أسرى، وما زالوا يقبعون في سجونها إلى الآن.

لقد صرح الجنرال ديفيد بتريوس قائد القيادة العسكرية الأمريكية الوسطى بأن: (الولايات المتحدة وحلفاءها لهم مصالح مشتركة مع إيران الشيعية ضد السنة في أفغانستان). وقال بتريوس: (هناك مصالح مشتركة بين أفغانستان والتحالف وإيران). وأوضح: (إن إيران التي يهيمن عليها الشيعة لا تريد عودة حكم طالبان السني، إنهم (إيران) لا يريدون أن يروا أفغانستان في قبضة قوات سنية متطرفة).

وقال بتريوس: (إن الأمر يرجع إلى رجال السياسة ليزنوا المصالح المشتركة هناك مقابل نزاعات رئيسية بين واشنطن وطهران فيما يتعلق بقضايا أخرى)[٢].

الباحث الإيراني محمد غلام رضا يؤكد أن: (الحوار الإيراني - الأمريكي يمكن أن يشهد ربيعاً في ظل الإدارة الأمريكية الجديدة، إدارة أوباما)،

ويقول: (إن الحوار بين إيران وأمريكا لم ينقطع، حيث إن طهران كانت في حوار دائم مع واشنطن في بغداد، وإنها تسلّمت رسائل من أمريكا عبر السفارة السويسرية). وأكد أنه: (لولا إيران لما تمكنت أمريكا من إسقاط حكومة طالبان في كابول ٢٠٠١م وحكومة صدام في العراق ٢٠٠٣م)[٣].

ومن المهم أن نتوقف قليلاً مع مقال ديفيد مونتيرو: (أمريكا وإيران في أفغانستان.. مصالح مشتركة) المنشور بصحيفة كريستيان ساينس مونيتور الأمريكية، الذي ترجمه أحمد أبوعطاء لموقع مفكرة الإسلام في ١٦مايو ٢٠٠٦م، حيث يركز الكاتب الأمريكي على النقاط الآتية:

- تحرص إيران على البقاء بوصفها واحدة من أكبر وأهم شركاء حكومة الرئيس الأفغاني حامد كرزاي الموالية للاحتلال على الصعيد التجاري والدبلوماسي.
- ظلت طهران طوال سنوات عدة لا تعدّ أفغانستان سوى مسرح لإعداد المؤامرات والدسائس بغض النظر عن صالح المواطن الأفغاني العادي، خاصة إبان حكم حركة طالبان لأفغانستان.
- الولايات المتحدة وإيران، وفقاً للمعطيات الظاهرية على ساحة الأحداث الدولية، تبدوان في حالة نزاع وصدام خاصة ما يتعلق بالأزمة المترتبة على البرنامج النووي الإيراني المثير للجدل الذي تؤكد الولايات المتحدة وحلفاؤها من الدول الأوروبية أنه محاولة من جانب طهران لامتلاك القنبلة النووية، لكن النزاعات والصدامات المعلنة بين إيران والولايات المتحدة لم تؤثر من بعيد أو قريب في حقيقة التعاون الكامل والتوافق

في الرؤى ووجهات النظر على مدار سنوات عدة في أفغانستان بين أمريكا وإيران، ذلك التعاون الذي اتضح بشكل ملحوظ، ولاسيما في السنوات القليلة الماضية، وأكد أن أفغانستان باتت مسرحاً حقيقيًّا لتلاقي المصالح الأمريكية الإيرانية المشتركة.

- النزاع الدبلوماسي الدائر حالياً بسبب البرنامج النووي الإيراني، يمكن أن يسبب انتكاسة لجهود إيران التي تتم من وراء الستار الهادفة إلى محاصرة العدو الأخطر للولايات المتحدة المتمثل في الأطراف التي تسميها واشنطن (الإرهابية).

- ينقل الكاتب عن محمد رضا إبراهيمي السفير الإيراني في أفغانستان قوله: (الخلافات التي تظهر على السطح بيننا وبين المجتمع الدولي لم يظهر لها أي أثر في الساحة الأفغانية حتى الآن، ونحن نعتقد أن أفغانستان يمكن بالفعل أن تكون النموذج المأمول للتعاون الحقيقي والمثمر بين طهران والمجتمع الدولي)، في إشارة ضمنية للولايات المتحدة الأمريكية.

- التأثير الإيراني في أفغانستان يتم وفقًا لأجندة خاصة بطهران تغيرت بطبيعة الحال بطبيعة الأحداث والحروب والمتغيرات التي شهدتها الساحة الأفغانية، وهو تأثير مستمر منذ قرون وضارب بجذوره في عمق التاريخ بسبب الحدود المشتركة بين البلدين والمليئة بالثغور التي تصل لآلاف الأميال والتي يعبرها يوميًّا ما لا يقل عن ألفي شخص، وكذا بسبب وجود كثير من الطوائف الشيعية داخل أفغانستان قرب الحدود مع إيران تتشارك في اللغة والثقافة والميول والأهداف، وهو ما

تجلى بشكل واضح في الدعم المتكامل الذي قدمته طهران لما يسمى (قوات تحالف الشمال) التي ظلت تناهض حكم طالبان الإسلامي السني في المدة ما بين عامي ١٩٩٦م و٢٠٠١م.

- تحالف الشمال الذي كان يحصل على المساندة التامة من جانب إيران كان هو أحد أهم الأسباب التي ساعدت الولايات المتحدة على حملتها الرامية إلى غزو أفغانستان وإبعاد حركة طالبان عن الحكم في كابل.

- النفوذ الإيراني في الشأن الأفغاني لا يقتصر فقط على الجانبين التجاري والاقتصادي، وإنما يمتد إلى الجانب الأمني، فإيران تمارس تدخلاً غير محدود في تنفيذ عمليات مسلحة وأخرى تفجيرية لخدمة مصالح خاصة في أفغانستان، بل يتحدث الكثيرون عن نفوذ كبير لقوات الحرس الثوري الإيراني بصورة سرية في محافظة هيرات على وجه الخصوص.

- أقرت لجنة من الخبراء الأمريكيين أمام جلسة للكونجرس الأمريكي في مارس من عام ٢٠٠٦م بشأن الأوضاع في أفغانستان بأن إيران تسهم بقوة في استقرار الأوضاع هناك، من المنظور الأمريكي[٤].

أما كلام الرئيس الإيراني السابق علي أكبر هاشم رفسنجاني، فقد كان واضحاً في تأكيد تعاون إيران مع أمريكا لاحتلال بغداد وأفغانستان، فقد نقلت صحيفة الشرق الأوسط اللندنية في ٢٠٠٢/٢/٩م عن الرئيس الإيراني السابق علي أكبر هاشم رفسنجاني قوله في جامعة طهران: (إن القوات الإيرانية قاتلت طالبان، وساهمت في دحرها، وإنه لو لم تساعد إيران على

قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني) وأضاف: (يجب على أمريكا أن تعلم أنه لولا الجيش الإيراني الشعبي ما استطاعت أمريكا أن تُسْقط طالبان)[٥].

محمد علي أبطحي نائب الرئيس الإيراني للشؤون القانونية والبرلمانية وقف بفخر في ختام أعمال مؤتمر الخليج وتحديات المستقبل الذي نظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية في أبوظبي مساء ٢٠٠٤/١/١٥م ليعلن أن بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق، مؤكداً أنه لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابل وبغداد بهذه السهولة[٦].

ويؤكد الدور الإيراني المشبوه ما قاله نائب الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية، فيلب ريكر: (نعرف كلنا بالطبع تاريخ جهود التحالف في أفغانستان التي أدت إلى تحرير ذلك البلد من طالبان واجتثاث الخلايا الإرهابية، بما فيها بالطبع (القاعدة)، التي كانت تتخذ من أفغانستان قاعدة لها، وكانت تلك عملية تمكنا بها من التباحث مع إيران أيضًا حول قضايا تتعلق بأفغانستان)[٧].

ويؤكده أيضاً ما أعلنه الناطق باسم الخارجية الإيرانية، وكذلك وزير الاستخبارات الإيراني علي يونسي، في حديث أدلى به في المدرسة الفيضية الدينية في قم، في أثناء العدوان من أن هناك شكلاً من أشكال الدعم تقدمه إيران أو اتفقت إيران على تقديمه للولايات المتحدة. وما نص عليه د.محسن رضائي الأمين العام لمجمع تشخيص مصلحة النظام في إيران خلال حديثه لبرنامج (بلا حدود) في فضائية الجزيرة في أثناء العدوان أيضاً؛ حين

قال: (إن الخلاص منه (المستنقع الأفغاني) يجب أن يمر عبر إيران، أي إزالة طالبان والتيار السياسي الموجود في أفغانستان، وإذا وصلت أمريكا إلى طريق مسدود في أفغانستان لا بد أن تحصل على طريق للخلاص من هذا الطريق المسدود، فإيران طريق جيد، وإيران يمكن بشتى الطرق أن تحل هذا الطريق، وتخلص المنطقة من الأزمة الحالية، وتنتهي هذه الأزمة[٨].

ويؤكد الموقف الإيراني أن إيران تعهدت بعد الحرب بأسابيع بتقديم ٥٠٠ مليون دولار للمساهمة فيما دعته (إعادة إعمار أفغانستان) في أثناء زيارة قام بها الرئيس الأفغاني حميد قرضاي لإيران، أشاد فيها بالدعم الإيراني في إسقاط طالبان، وقال: (لإيران دور مهم، فلديها الكثير من الموارد مع توافر حسن النية لمساعدتنا على إعادة إعمار أفغانستان، ونريد من دول العالم كافة أن تساعدنا كما ساعدتنا إيران)[٩].

الهوامش:

(١) محمود قطب، إيران في أفغانستان.. مواقف مخزية، موقع لواء الشريعة، ١-٣- ٢٠٠٩م.

(٢) الناتو يسعى للشراكة مع إيران في حربه ضد طالبان، موقع مفكرة الإسلام، ٢٧ يناير ٢٠٠٩م.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ديفيد مونتيرو، أمريكا وإيران في أفغانستان.. مصالح مشتركة، صحيفة كريستيان ساينس مونيتور، ترجمة أحمد أبوعطاء، موقع مفكرة الإسلام، ١٦مايو ٢٠٠٦م.

(٥) صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠٠٢/٢/٩م.

(٦) د. أيمن الهاشمي، يريدون تبرئة إيران... ترى من الذي تواطأ مع الغزاة؟، صحيفة السياسة الكويتية، ٢٠١٠/١١/٢٦م.

(٧) موقع وزارة الخارجية الأمريكية على شبكة الإنترنت.

(٨) برنامج بلا حدود في فضائية الجزيرة في ٢٠٠١/٧/٢٥م.

(٩) صحيفة الشعب الصينية ٢٠٠٢/٢/٢٥م.

الفصل العشرون

ولاء لأرمينيا النصرانية
وعداء لأذربيجان المسلمة!

الفصل العشرون

ولاء لأرمينيا النصرانية وعداء لأذربيجان المسلمة!

من الأمور العجيبة التي تثير التعجب من تناقضات إيران، أنها على الرغم من تبنيها الشعارات الإسلامية، إلا أنها تفضل الصداقة مع أرمينيا المسيحية على الصداقة والتعاون والأخوة مع أذربيجان المسلمة التي فيها أيضاً طائفة شيعية كبيرة، فالأخوة الإسلامية لا مكان لها في السياسة الإيرانية، وإنما المكان هو للهواجس الأمنية والمصالح التي تتحكم في سياسة طهران وخاصة الخشية من تنامي المشاعر القومية والانفصالية في أذربيجان الجنوبية.

فمن المفارقات أن نجد دولة مثل أذربيجان مع كثرة شيعتها إلا أن علاقتها مع إيران ليست على ما يرام، وربما كان منطلق إيران من ذلك أن (الأزرد) أصولهم تركية، ويتحدثون اللغة التركية، وأن إيران تفعل ذلك من باب مواجهة النفوذ التركي.

صحيح أن خريطة العلاقات الدولية تتغير، وتتبدل بتغير المصالح والأهداف، لكن سعي إيران إلى تعزيز نفوذها الإقليمي في وقت تمكنت فيه

واشنطن وتل أبيب من إحاطة طهران بشبكة قوية من العلاقات مع دول منطقة القوقاز وآسيا الوسطى، ينبغي ألا يكون على حساب أذربيجان المسلمة.

إيران تقوم باتخاذ خطوات إستراتيجية لإعادة تقييم علاقاتها مع الكثير من الدول بهدف الوقوف على قدم المساواة مع أمريكا وإسرائيل، واستعداداً لأي طارئ إذا ما اندلعت حرب في تلك المنطقة.. هذا أمر يمكن فهمه، لكن لا يمكن استيعاب أن يكون ذلك على حساب الأخوة الإسلامية.

كان يمكن لإيران أن تطور علاقاتها مع أرمينيا في مجالات عدة، لكن لا يعني هذا أن يكون هذا التطوير على حساب مناصرة أرمينيا المسيحية ضد أذربيجان المسلمة.

إذا ما ألقينا نظرة على النسيج السكاني في إيران سنجد أن ٥١٪ فرس، ٢٤٪ آذريون، والبقية من السكان هم من الكرد والعرب والبلوش والتركمان والبلوخيين. وبسبب ذلك دعمت إيران أرمينيا منذ اندلاع الحرب في أواخر ثمانينيات القرن الماضي حول مسألة (ناغورنو كرباخ) المتنازع عليها بين أذربيجان وأرمينيا، ودخلت المصالح الاقتصادية، النفط بشكل خاص المعادلة، لكن الجانب الإثني بعدم تقوية شوكة الجمهورية النفطية الواعدة (أذربيجان) التي لها امتداد قومي في أراضي الدولة الإيرانية غضّ الطرف عن العنصر الديني الذي يستعمل كما يبدو عند الطلب، فالعناصر الأخرى تستعمل وتكيف بحسب المصلحة والأمثلة كثيرة وقريبة.

هذه الصور، وإن بدت غير مترابطة إلا أنها تصب في سياق واحد هو أين تكمن المصلحة العليا لتلك الدول، والأمن هو العنصر الأهم فيها بوصفه ثابتاً رئيساً في بناء الموقف السياسي والاستراتيجي.

إن أذربيجان هي الدولة الشيعية الثانية بعد إيران التي غالبية سكانها (اثنا عشرية) ويحكمها الشيعة (الاثنا عشرية) ولكن لم يشفع لها ذلك أمام أنانية المصالح السياسية والاقتصادية عند النخبة الإيرانية.

لقد فرضت تركيا وأذربيجان حصاراً على أرمينيا في أثناء الحرب، ولكن تم اختراق هذا الحصار من قبل إيران، حيث إن أرمينيا محاطة بتركيا وأذربيجان وإيران، ولولا اختراق الحظر من قبل إيران وتقديمها الدعم اللازم لكانت هزيمة أرمينيا مؤكدة، لأن الاقتصاد الأرميني كان قد أوشك أن ينهار، وإن طرق الإمدادات لأرمينيا كانت قد أغلقت تمامًا من جانب الأتراك والآذريين ولم يتبقَّ إلا الإمداد عبر الحدود الإيرانية، وهذا ما جعل أرمينيا تصمد أمام الحظر.

لقد كان الدعم الإيراني موجهاً لأرمينيا لإضعاف أذربيجان نتيجة الخلاف بينهما على المناطق الآذرية المحتلة من قبل الإيرانيين والحد من النفوذ التركي في منطقة القوقاز، حيث إن الرابط الوحيد بين تركيا وباقي جمهوريات الاتحاد السوفيتي هي أذربيجان.

من الوهلة الأولى لا يبدو أن باستطاعة إيران وأرمينيا أن يكونا شريكين، فإيران دولة كبيرة يحكمها نظام إسلامي أوتوقراطي، وأرمينيا دولة مسيحية صغيرة تسعى إلى تطبيق إصلاحات ديمقراطية في اتجاه نظام السوق المفتوح، ومع ذلك فالواقع يشير إلى أن روابط إيران بأرمينيا تُعدّ أقوى من تلك التي تربطها بكثير من الدول الإسلامية المجاورة.

الضرورة تسير بالبلدين في اتجاه بعضهما، فإيران في حاجة إلى صداقة أرمينيا؛ لتوفير معبر بديل للنقل إلى روسيا وأوروبا، وأرمينيا بدورها تواجه

انسداداً متواصلاً في طرق التجارة من جانب أذربيجان وتركيا، وهي معنية بتأمين ممر آمن وموثوق للتجارة.

أرمينيا تفتقر إلى وجود كميات ذات أهمية من احتياطي الوقود، وتخطط لإغلاق مولدات الطاقة النووية التي تملكها في غضون سنوات، وسيساعد مشروع محطة الطاقة الحرارية والربط مع مراكز الإنتاج الإيرانية على تعزيز أمن أرمينيا الاقتصادي[1].

سياسات إيران ضد أذربيجان تشكل خطراً على أذربيجان، فتعميق الخلافات القومية بين الشعوب الإيرانية يهدد بإراقة الدماء، وينمي الميول الانفصالية في أذربيجان، وهاجس انتشار المشاعر القومية دفع السلطات الإيرانية إلى ملاحقة حتى المعتدلين الآذريين في أذربيجان الجنوبية التي هي الآن جزء من إيران، وطهران تنظر بقلق بالغ لدعوات توحيد أذربيجان الجنوبية بالوطن الأم أذربيجان.

إن إيران تلجأ إلى التستر وراء أفكار المساواة والأخوة الإسلامية لسحق الميول القومية والدعوات لانفصال جنوب أذربيجان، وعلى هذا الأساس، فان إيران ومنذ التسعينيات تقيم علاقات صداقة مع أرمينيا، التي تعيش على حساب إيران لعدم وجود حدود مشتركة لها مع روسيا ولها حدود إما مع دول عدوة أو ترتبط معها بعلاقات عدوانية مبطنة، مثل جورجيا. وهكذا، فإن الدولة الوحيدة التي تقيم علاقات ودية مع أرمينيا المسيحية هي إيران المسلمة.

إن إيران تلاحق، وتختطف في أذربيجان عناصر الحركات الانفصالية من أبناء أذربيجان الجنوبية، وكذلك المعارضين الإيرانيين ما اضطر هؤلاء إلى

طلب اللجوء في الدول الغربية، وأصبح لطهران شبكة واسعة من العملاء في أذربيجان تسعى لتحريكهم خدمةً لأغراضها في الوقت الذي تحدده[٢].

ولكي نقف على سبب العداء الإيراني لأذربيجان، فإنه يجدر بنا أن نتوقف أمام موقع الآذريين في تركيبة المجتمع والدولة في إيران.

إن الأتراك الآذاريين يشكلون أكثر من ثلاثين في المئة من مجموع سكان إيران البالغ عددهم سبعين مليون نسمة تقريباً. ويعد الآذاريون أكبر قومية بعد الفرس، بل إن بعضهم يرى أنهم يتجاوزن عدد الفرس إذا ما أضيف إليهم القشقائيون والتركمان والأوزبك، وهم جميعاً من الناطقين باللغة التركية.

وتنقسم أذربيجان الإيرانية إلى محافظتين: شرقية وعاصمتها «تبريز» وغربية وعاصمتها (أرومية) التي ينازعهم عليها الأكراد. وهناك محافظات أخرى يشكل الآذاريون أغلبية فيها، وهي أردبيل وزنجان وقزوين، إضافة إلى طهران التي يقنطنها أكثر من أربعة ملايين آذاري ويهيمنون على البازار فيها.

عام١٩٤٧م أقام الآذاريون جمهوريتهم الديمقراطية في تبريز بزعامة (سيد جعفر بيشه وري) الذي كان يحظى بدعم البلاشفة، ولكن التوافق الذي جرى بين أمريكا والاتحاد السوفيتي عقب الحرب العالمية الثانية أدى إلى تخلي البلاشفة عن حليفهم (بيشه وري) ما أدى إلى انهيار جمهوريته التي لم تدم سوى عام واحد فقط وفرّ بعد ذلك هارباً إلى باكو في الشق الشمالي من أذربيجان، التي تحولت إلى جمهورية شيوعية في إطار الاتحاد السوفيتي،

التي إلى ما قبل ذلك التاريخ كانت جزءاً من إقليم أذربيجان الجنوبي الذي يقع تحت سلطة الدولة الإيرانية.

يرى الآذاريون أنهم أصحاب الفضل في انفصال إيران واستقلالها عن دولة الخلافة العثمانية الإسلامية، وأنهم المؤسسون لأول دولة شيعية في إيران، وذلك حينما ناصروا إسماعيل الصفوي الذي أقام دولته في تبريز عاصمة أذربيجان بعد طرد العثمانيين منها بمساعدة قبائل القزلباش الآذارية قبل أن ينتقل بعد ذلك إلى أصفهان لتصبح عاصمة للصفويين.

بعد الإطاحة بنظام الشاه ارتفعت أسهم الآذاريين، وأصبح نصيبهم في السلطة أكثر بكثير عما كان عليه في عهد الشاه. وكانت العلاقة بين الآذاريين والنظام الإيراني تسير على ما يرام حتى مطلع التسعينيات، فبعد سقوط الاتحاد السوفيتي واستقلال الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز بدأت المنطقة تشهد تحالفات إقليمية جديدة يدور التنافس فيها بين إيران وتركيا، وقد أخذ كل منهم يسعى إلى توظيف العلاقات الثقافية واللغوية وسيلة لتوطيد علاقاته بالجمهوريات الإسلامية حديثة الاستقلال.

فبينما استطاعت إيران كسب ود طاجيكستان بحكم الروابط اللغوية المشتركة بينهما، فقد استطاعت تركيا في المقابل كسب ود أذربيجان الشمالية وإقامة روابط قوية معها بسبب الترابط اللغوي والقومي بينهما، وذلك على الرغم من أن تركيا تدين بالمذهب السني وأذربيجان بالمذهب الشيعي (الاثنا عشري) كما هو حال إيران الشيعية وطاجيكستان السنية.

فإيران التي فضلت تقديم الجانب القومي على الجانب المذهبي في علاقاتها مع الجمهوريات السوفيتية السابقة، فإنها بهذه الخطوة حركت

مشاعر الآذاريين ودفعتهم للإحساس بهويتهم واللجوء إلى دعم شقيقتهم أذربيجان الشمالية التي وقفت إيران ضدها. وهذا ما جعل الرئيس الآذاري الراحل حيدر علييف ومن بعده نجله الرئيس إلهام علييف يلعبان بورقة أذربيجان الجنوبية بوصفها وسيلة ضغط على إيران نكاية فيها على دعمها لأرمينيا وتحريكها للتيار الإسلامي في باكو.

وفي المقابل أيضاً وجد آذاريو إيران في باكو قاعدة لهم لتنشيط حركتهم السياسية والإعلامية المطالبة بالاعتراف بحقوقهم القومية المهضومة، وأصبحوا أكثر أملاً إلى تحقيق حلم توحيد شطري أذربيجان تحت ظل علم واحد.

لقد تميزت الحركة الآذارية عن باقي الحركات السياسية المطالبة بالحقوق القومية في إيران بأنها حاولت إلى الآن انتهاج الخيار السلمي في نضالها، ولم تلجأ إلى العمل العسكري لتحقيق مطالبها على الرغم من أن مناطقها من الناحية الإستراتيجية مهيأة لذلك العمل بشكل جيد، خصوصاً أن مناطق الجوار الكردي التركي والكردي الإيراني ومنذ أكثر من عشرين عاماً تعد مناطق ملتهبة بالصراع العسكري، غير أن ذلك لم يغرِ الآذاريين بخوض هذه التجربة التي توقفت عندهم بعد سقوط جمهوريتهم الأولى. والسبب في ذلك على ما يبدو يعود إلى معضلة سياسية معينة، وهي عدم رغبة حكومة أذربيجان في هذا الأمر؛ خشية من رد الفعل الإيراني الذي قد يقوم بدعم معارضيها في انتهاج العمل ذاته، وهو ما ليس لباكو طاقة على مواجهته؛ كونها تخوض حرباً مع أرمينيا، ولا تريد أن تفتح جبهة داخلية مع معارضيها.

الهوامش:

(١) هاروتيون خاشتريان، إيران تعتبر أرمينيا أفضل جار لها والأخيرة تريد شراكة اقتصادية وتجارية أوسع، موقع البينة نقلاً عن شبكة أواسيا في ٢٠٠٢/٢/٢٠م.

(٢) إيران بين أذربيجان المسلمة وأرمينيا المسيحية، موقع إيلاف، ٢-١٢-٢٠٠٨م.

(٣) صباح الموسوي، أذربيجان إيران على فوهة البركان، موقع التجديد العربي، ٢٠٠٦/٦/٦م.

الفصل الحادي والعشرون

القضية الفلسطينية.. شعارات ومزايدات

الفصل الحادي والعشرون

القضية الفلسطينية.. شعارات ومزايدات

منذ احتلال بريطانيا للقدس في ٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧م، وأهل فلسطين السنة يحملون راية الجهاد، بقيادة الحاج أمين الحسيني، مفتي القدس في العشرينيات، ومن بعده الشيخ عزالدين القسام الذي كان استشهاده سنة ١٩٣٥م، سبباً لاشتعال الجهاد بقيادة نائبه الشيخ فرحان السعدي، الذي أشعل ثورة ١٩٣٦م، وبعدها تسلّم الراية والقيادة المجاهد عبدالقادر الحسيني حتى استشهد سنة ١٩٤٨م، ثم استمر الجهاد ضد اليهود.

وبسبب استيلاء اليساريين والقوميين على كثير من البلاد العربية في الخمسينيات والستينيات، حوصر المجاهدون في فلسطين وخَبَت شعلة الجهاد، لكن في مطلع الثمانينيات عادت جذوة الجهاد تشتعل من جديد، وأُعلن عن تشكل تنظيم (الجهاد) وحركة (حماس)، التي تبنّت العمل الجهادي من جديد على أرض فلسطين.

وقد قدم أهل فلسطين عبر هذه السنين في هذا الجهاد أروع الأمثلة في الإقدام والبذل بالمال والنفس والدم، فامتلأت السجون بالمعتقلين، وتضاعفت أعداد الشهداء، وشُرد الآلاف بعد أن هدمت بيوتهم، وجرفت مزارعهم.

وبعد هذا كله نجد أن الشيعة لا يعترفون بهذا الجهاد العظيم، ولا يقيمون له وزناً أو قيمة، ويتصورون أن الجهاد لا يأتي إلا منهم. ففي كتاب (أحمدي نجاد والثورة العالمية المقبلة) الصادر سنة ٢٠٠٦م، لمؤلفه (فارس فقيه) فصل بعنوان: (أنت في عصر الظهور) احتوى على ١٦ علامة لقرب ظهور المهدي، ومن ثم قام المؤلف بإفراد هذا الفصل في كتاب منفصل، وزوده بصور ملونة، ومن ثم زاد عليه علامتين جديدتين، جعل العلامة السادسة الكبرى تقع على أبواب بيت المقدس، بعنوان (حزب يقاتل على أبواب بيت المقدس يلقون عناية الإمام الحجة قبل الظهور) وأورد فيه رواية عن النبي ﷺ تقول: (لا تزال عصابة من أمّتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس، وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة «الظهور») عزاه لمجمع الزوائد ج ١٠، ص٦٠. وورد في الرواية عن صاحب الأمر أنه: (حزب يقاتل على أبواب بيت المقدس أنا منهم وهم مني) عزاه لكتاب (مئتان وخمسون علامة للظهور).

ومن ثم شرح هذه الروايات بقوله: (تدل هذه الرواية على أن هناك حزباً يقاتل في سبيل الله، على أطراف بيت المقدس. وتنطبق هذه الرواية على جهاد المجاهدين في المقاومة الإسلامية الذين يقاتلون في جنوب لبنان أقوى قوة طاغوتية في العالم، وهي الكيان الصهيوني، واستطاعوا بعناية الإمام المهدي

أن يحققوا الانتصارات عليه، ويدحروه، عن جنوب لبنان، ومن الواضح أن هذا الحزب يلقى عناية خاصة من الإمام، وأنهم جنوده والمطيعون له) ا. هـ.

فهذا الشيعي يعبر عن فكر الشيعة الذي لا يعترف بجهاد أهل السنة في فلسطين طوال هذه السنين الطويلة، ولا يعترف بشهداء فلسطين، الذين قتلوا في القدس وما حولها، ويحصر هذا فقط بأفراد (حزب الله) اللبناني.

فالجهاد والمجاهدون في فلسطين عند الشيعة بين خيارين: إما إنهم غير موجودين بعد، أو هم الشيعة في جنوب لبنان كما يرى المؤلف السابق، وأحلى الخيارين مر[1].

يقول الإيرانيون: إن ثورتهم قد تبنت القضية الفلسطينية وتحرير فلسطين منذ لحظة انتصارها على نظام الشاه محمد رضا بهلوي، وإنها بقيت على مدى السنوات الماضية تعدّ هذه القضية أحد ثوابت سياساتها ومواقفها الخارجية، وإنها تصرفت على هذا الأساس وفقاً لما يتلاءم مع هذا المنطلق خلال كل هذه الأعوام، وإنها إذْ اتخذت من منظمة التحرير موقفاً عدائيًّا، فلأنها حادت عن طريق التحرير، ولأنها انخرطت في المساومات والألاعيب السياسية على حساب تطلعات الشعب الفلسطيني وحقه في تحرير وطنه المقدس من البحر إلى النهر. فهل هذا صحيح؟

كان أول اتصال بين الخميني، وحركة (فتح)، في بدايات سبعينيات القرن الماضي، حيث ذهب وفد فلسطيني للقاء الخميني في مقر إقامته في طهران، كان على رأسه صبري البنا (أبو نضال)، ثم ذهب وفد فلسطيني لمقابلة الخميني في النجف، حينما كان موجودًا بالعراق، وطلب الوفد الفلسطيني من الخميني إصدار فتوى بضرورة منح زكاة المسلمين، وبخاصة الشيعة

إلى حركة (فتح)، حدث جدل طويل أبدى خلاله الخميني ممانعة وتحفظًا، لكنه ما لبث أن أصدر الفتوى في النهاية تحت إغراء أنها ستفيده في معركته المصيرية ضد نظام الشاه.

بعد ذلك بقيت الأمور تتحرك في حدود التحفظ المتبادل والتردد إلى أن انتقل الخميني إلى باريس، وانفجرت الثورة، وإلى أن عاد إلى طهران. عندها تحرك ياسر عرفات، الذي كان يواجه تدهوراً متصاعداً في علاقاته مع شيعة لبنان، وبخاصة حركة (أمل)، بسرعة وقام بزيارة تاريخية إلى إيران بعد انتصار ثورتها بأيام قليلة على رأس وفد كبير.

كان الخميني ينزل في مدرسة علوي في شمالي طهران، وأجرى الرئيس الفلسطيني الراحل، الذي كان يرافقه أيضاً الرئيس الحالي محمود عباس، محادثات مطولة مع قائد الثورة المنتصر الذي رفض استخدام اللغة العربية في محادثاته تلك، مع أنه كان يتقنها أكثر كثيراً من ضيفه، وثبت لعرفات أن القضية الفلسطينية بعيدة عن ذهن زعيم وقائد إيران الجديد كل البعد، وأن كل ما يريده منها هو أن تشكل غطاءً لتصدير ثورته إلى الدول العربية القريبة والبعيدة.

لقد حاول عرفات الذي كان في حاجة إلى صداقة زعيم الثورة الإيرانية والاقتراب منه لمواجهة شيعة لبنان، الذين بدؤوا بعد أن أصبحت حركة «أمل» حركتهم السياسية ينقلبون عليه وعلى الثورة الفلسطينية، إقناع الخميني بضرورة الانفتاح على العرب وضرورة مساندة قضية فلسطين، لكن هذا الأخير أصر على أن يفك الرئيس الفلسطيني الراحل علاقاته بالعرب والعروبة، وأن يكون جزءاً من الثورة الإسلامية، وهكذا وقع الاختلاف الذي

تحول إلى خصومة شديدة بعد انحياز الفلسطينيين إلى العراق خلال كل سنوات الحرب العراقية ـ الإيرانية[٢].

رفض عرفات مطالب إيران ما جعله لا يحصل منهم إلا على الفتات؛ الذي أخذوا له ثمنًا غاليًا، وهو تولي (منظمة فتح) تدريب كوادر (حركة أمل الشيعية)، بل إن ياسر عرفات لما أجبر على ترك لبنان عام ١٩٨٢م ترك معظم أسلحته لحركة (أمل)؛ عساها تقوم بالدفاع عن اللاجئين الفلسطينيين في (لبنان)، التي كانت تدور فيها حرب أهلية طاحنة، كان الفلسطينيون دائمًا مستهدفين فيها؛ لأنهم - من وجهة نظر جميع الأحزاب المتناحرة - يعدّون إضافة لرصيد أهل السنة في لبنان.

ولكن (أمل) خذلت الفلسطينيين في مذبحة (صابرا وشاتيلا) الأولى عام ١٩٨٢م، التي نفذتها قوات الكتائب المسيحية في حماية وحراسة القوات الإسرائيلية، وفي ظل صمت تام من قوات (أمل) الشيعية، التي ورثت السلاح الفلسطيني غنيمة باردة، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد؛ بل قامت منظمة «أمل» نفسها بمذبحة (صابرا وشاتيلا) الثانية، التي أنست الناس ما فعله اليهود والنصارى في المذبحة الأولى؛ وذلك أن حركة (أمل) في أحد أطوار الحرب الأهلية اللبنانية فرضت حراسة على مخيمات (صابرا وشاتيلا) لمنع الفلسطينيين من دعم أهل السنة، ثم ادعت إحدى دوريات الأمن التابعة لحركة (أمل) أن صبيًّا فلسطينيًّا تعرض لهم، فاقتحموا المخيمات، وقاموا بمذبحة بشعة في أحد مستشفيات المخيم، ثم دار قتال شرس مدة أربعين يوماً عرقلت حركة (أمل) في أثنائه أي محاولة للصلح إلى أن سقط مخيم (صابرا)، وكان تعليق معظم شهود العيان على

ما ارتكبته قوات (أمل): (لقد فعل هؤلاء بنا ما لم يفعله اليهود)، ثم جلسوا للصلح الذي أعاد حصار (أمل) للمخيمات مع فض الاشتباك.

المذبحة بدأت في أول رمضان، ولم تنتهِ إلا بعد انتهائه، وكان الخميني يعتذر عن مقابلة كل من يطلب مقابلته بخصوص هذا الأمر بأنه منقطع للعبادة في رمضان، ثم لما انتهى رمضان ألقى خطاباً شاملاً لم يتعرض فيه للمذبحة إلا بجملة يسيرة دعا فيها الجميع إلى ضبط النفس.

عار (صابرا وشاتيلا) كان أحد أهم العوامل التي حدت بإيران إلى إنشاء منظمة جديدة هي (أمل الإسلامية)، التي تحولت فيما بعد إلى (حزب الله)؛ لكي يتسنى لهم ادعاء براءتهم من عار (صابرا وشاتيلا)، إلا أنه فاتهم أن معظم قادة (أمل) الإسلامية كانوا قادة أو على الأقل أعضاء في حركة (أمل) وقت المذبحة، ومنهم (حسن نصرالله) الأمين العام الحالي لحزب الله.

والحاصل أن حبال الود بين (منظمة التحرير) و(إيران) قد تقطعت تماماً بعد هذه المذبحة، ولا سيما أن المنظمة بدأت في هذه المدة المفاوضات الأولية للحل السلمي، ما يعني أن قادتها غير صالحين لأن يكونوا امتداداً للثورة الإيرانية.

ومع نهاية العلاقة بين (فتح) و(إيران) كان قد ظهر على الساحة الدكتور فتحي الشقاقي مؤسس جماعة (الجهاد) الفلسطينية، الذي تبنى الفكر الناصري في بداية حياته، ثم انضم إلى الإخوان عام ١٩٦٨م متأثراً بهزيمة عام ١٩٦٧م، ولكنه كان يحاول الدفع في اتجاه العمل المسلح، ولكن مع استمرار

رفض القيادات الإخوانية لهذا المبدأ استقال من الجماعة عام ١٩٧٤م، وذهب للدراسة في كلية طب الزقازيق في مصر، وهناك اتصل بجماعة (الجهاد المصرية)، واتصل بجمعية (أهل البيت)، وحصل منهم على ترجمة عربية لكتاب (الحكومة الإسلامية) للخميني.

ومن الواضح أن الشقاقي قد قرأ الكتاب بروحه الثورية القديمة، فرأى فيه الأمل للأمة، والمخرج لها من ورطتها، وأقنع نفسه بأن الكتاب كتب بروح إسلامية عامة وليس بروح مذهبية، أضف إلى ذلك أنه لم يكن متمكنًا من معرفة المنهج الشيعي.

وألف الشقاقي كتاب (الخميني الحل الإسلامي والبديل) الذي اعتقل بسببه في مصر، ثم أفرج عنه، وعاد إلى فلسطين ليؤسس جماعة (الجهاد الإسلامي الفلسطيني) عام ١٩٨٠م، وليظل مدافعاً عن كل مواقف (الثورة الإيرانية) إلى أن تم إبعاده إلى الجنوب اللبناني عام ١٩٨٨م، وعاد بعدها ليتمكن من السفر إلى إيران للحصول على الدعم اللازم، الذي فوجئ أن شروطه هي إعلان أن المرشد لحركة (الجهاد الإسلامي) هو مرشد الثورة الإيرانية، وأن يصعد من هجومه على (فتح). فرفض هذه الشروط إلى أن اغتاله الموساد عام ١٩٩٥م.

تولى قيادة (حركة الجهاد) بعد الشقاقي خلفه رمضان شلح، الذي أعلن أن مرشد حركته هو المرشد الأعلى للثورة الإيرانية، وبدأ بتوزيع كتب التقريب بين السنة والشيعة بكمية كبيرة، بل بدأ بتوزيع كتب تنتصر للمذهب الشيعي، ما نتج عنه تشيع بعض أفراد الحركة، ويبدو أن الحركة لم تكن تريد للأمور أن تصل إلى هذا الحد؛ حيث صرَّح أحد المتشيعين بأنه تعرض لضغوط من

قبل الحركة لما أعلن تشيعه، ويبدو أن الحركة كانت تريد أن تقف عند حدود التشيع السياسي كما يسمونه دون أن يمتد هذا إلى التشيع العقدي؛ لكن كانت هذه هي النتيجة الطبيعية لتمجيد رموز الشيعة ليل نهار مع نشر كتب ظاهرها التقريب، إلا أن الكثير منها كان باطنه الدعوة المباشرة إلى التشيع.

أما حركة (حماس) فقد ظهرت على الساحة الفلسطينية عام ١٩٨٧م على أنها جناح من أجنحة (الإخوان المسلمين)، ويبدو أن هذا لكي تتمكن من إعلان أنها حركة فلسطينية تجاهد من أجل فلسطين وداخل حدود فلسطين فقط، بخلاف الخطاب العالمي الذي تميل الجماعة الأم لاستخدامه عادة.

واستطاعت الجماعة من خلال قيادتها للانتفاضة ومن خلال عملها الدعوي والاجتماعي أن تكون هي الجماعة الأكثر انتشاراً بين الإسلاميين في فلسطين، بل أصبحت هي الجماعة الأكثر قبولاً لدى عموم الفلسطينيين في غزة، إضافة إلى مزاحمتها لـ (فتح) في الضفة الغربية.

وقد أخذت (حماس) على (الجهاد) انفتاحها على التشيع، حتى إن الشيخ (أحمد ياسين) لما وافق على إجراء بعض الاتصالات بـ (إيران) كتب موضحاً موقف (حماس) من (إيران) في كتاب (نحن والشيعة تقاطع مصالح لا تحالف)، وقد ظل ذلك الموقف حتى وقت قريب، ومن جهود الجماعة في محاربة التشيع أن الدكتور صالح الرقب القيادي البارز في (حماس) كتب عام ٢٠٠٣م كتاباً بعنوان: (الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيعة)، ذكر أن الباعث على تأليفه هو زيادة الدعوة إلى منهج الشيعة (الاثنا عشرية) في غزة في الآونة الأخيرة.

والملاحظ أن العلاقة بين (إيران) و(حماس) قد تطورت باتفاق الجميع، ولكن قادة (حماس) يرون أنه تطور في حدود التقاء المصالح، ولم يتطرق إلى التحالف المذهبي[٣].

في السابع من أغسطس عام ١٩٧٩م أعلن الخميني في ذروة شعبية الثورة الإيرانية اعتبار الجمعة الأخيرة من شهر رمضان يوماً للقدس. وقد لاقت تلك الدعوة في ذلك الوقت زخماً شعبيًّا في العالم العربي قل نظيره، حيث كان الخميني في نظر الجماهير العربية وبعد الإطاحة بعرش طاوس إيران الأمريكي الشاه محمد رضا بهلوي، هو المنقذ، ووصل الوهم لدى بعض الناس مستويات لا سقف لها.

لم تكن دعوة الخميني إلا مجرد توظيف سياسي في قضية حساسة كالقدس والمسجد الأقصى سرعان ما انكشفت أبعادها، فبعد هذه الدعوة وبعد أشهر من بدء الحرب الإيرانية – العراقية، أعلن الخميني تشكيل (جيش القدس) الذي تحول بعد سنوات إلى فيلق القدس سيئ الصيت الذي مارس (نضالاته الجهادية) عبر أعمال تخريبية في دول الخليج العربي والعراق ومازال، وفي ذلك الوقت كان الشعار الإيراني هو أن طريق القدس تمر عبر كربلاء وبغداد، ومن الناحية العملية لم يتغير جوهر هذا الشعار، وبدل أن يكون الهدف الإيراني إسقاط نظام البعث في العراق بوصفه في نظرها عقبة في طريق طهران لتحرير القدس، نجد أنها وبعد أن خدمتها واشنطن بتغير النظام في العراق أخذت تعمل على تحويله إلى حديقة خلفية ودولة.

هذا التوظيف السياسي لقدسية القدس وفلسطين ومعاداة أمريكا وإسرائيل يتحدث عنه بكل وضوح المعارض من داخل رحم النظام السيد مير حسين موسوي،

عن أن جميع الشعارات والمراسم والمناسبات الإسلامية والثورية للنظام كيوم القدس ومعاداة إسرائيل هي مجرد وسائل وأدوات بيد النظام لخدمة مصالحه في الداخل والخارج.

هذا في البعد السياسي، أما في البعد العقديّ فإن علماء الدين التابعين لولاية الفقيه لهم نظرة خاصة للقدس والمسجد الأقصى تتناقض مع أبسط الأدبيات الإسلامية.

يخلص جعفر مرتضى العاملي، عالم الدين الشيعي المعروف والمقرب من القيادة الإيرانية في كتابه المعنون: (الصحيح من سيرة الرسول الأعظم)، الذي حاز جائزة أفضل كتاب في إيران، وكرمه عليه الرئيس أحمدي نجاد شخصيًّا، إلى: (أن المسجد الأقصى في السماء، وليس في القدس) (الجزء الثالث، ص١٠٤-١٠٦).

ويستند العاملي في استنتاجه هذا إلى كتاب (بحار الأنوار) للشيخ محمّد باقر تقي المجلسي، وهو من كبار علماء الشيعة، حيث يورد ما نصه: (عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته يوماً عن المساجد التي لها الفضل، فقال المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ وعلى آله وأصحابه، قلت: والمسجد الأقصى جعلت فداك؟ فقال ذالك في السماء، وإليه أسري برسول الله ﷺ، فقلت: إن الناس يقولون: إنه بيت المقدس؟ فقال: مسجد الكوفة أفضل منه) (ج ٢٢ ص ٩٠).

وهكذا، فإن المسجد الأقصى والقدس ليسا لهما القدسية التي يتم الإيحاء بها من قبل سياسيي ولاية الفقيه، ولكنهما تحولا كما قال مير حسين

موسوي إلى وسيلة دعائية وأداة لدغدغة عواطف المسلمين وتوظيفهما سياسياً وأيدولوجياً.[٤]

لو كان ملالي طهران عازمين حقًّا على تحرير القدس لكان لهم دور في صد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ولكان لهم دور في كسر الحصار الإسرائيلي المفروض على غزة منذ سنوات، ولكنهم اكتفوا هم ووكيلهم (حزب الله) بكل ترسانته من الصواريخ الإيرانية بموقف المتفرج في حين أن تصريحاته العنترية الطنانة كانت تتوعد اليهود بسيل من الصواريخ إن هم اعتدوا على غزة!

لقد وعت الأمة العربية الآن المرامي الخداعة من رفع شعار يوم القدس، للمتاجرة بالقضية الفلسطينية، وبات معلوماً للقاصي والداني أن القوم لا تهمهم فلسطين، ولا تهمهم القدس، ولا تعنيهم في شيء، سوى استخدامهما ورقة دعائية وخديعة للمخدوعين من العرب والمسلمين الذين صدقوا أو يصدقون أن إيران عازمة على تحرير القدس، لكنها استبدلت شعار (الطريق إلى القدس يمر عبر بغداد) بشعار (الطريق إلى فلسطين يمر عبر نشر التشيع في العالمين العربي والإسلامي)، فإلى متى يظل المخدوعون على انخداعهم بهذه الشعارات الإيرانية الجوفاء التي بان كذبها، وافتضحت مراميها؟

تلك هي ساحة الجهاد والنضال في فلسطين، فلتتحرك جحافل الجيش الإسلامي الإيراني لتحريرها إن كانت إيران صادقة في الشعارات التي ترفعها، ولكن هيهات، فقد افتضحت العلاقات السرية الوثيقة بين إيران وإسرائيل، والساحة العراقية بعد غزو العراق تشهد على تنسيق كامل بين إيران وبين الشيطان الأكبر (أي الولايات المتحدة الأمريكية)، لإدارة الشأن

العراقي، وأمريكا هي التي سمحت لإيران بالتمدد في العراق، فإلى متى يستمر الخداع والكذب والتضليل؟[٥].

بعد كل ما ذكرناه لم يكن مفاجئاً أن يظهر تنظيم شيعي في فلسطين، فقد حملت لنا الأنباء خبرين غير سارين: أولهما أن الشيخ نور اليقين يونس بدران، إمام مسجد النور في قرية (البعنة) الجليلية داخل الخط الأخضر اعتنق المذهب الشيعي وترك المذهب السني، وبذلك يكون أول إمام شيعي في البلاد (القدس العربي ٢٠٠٦/٩/١٨م)، الخبر الثاني: أن تنظيماً فلسطينيًّا في الأرض المحتلة ظهر باسم (المجلس الشرعي الأعلى) للدعوة الشيعية بتاريخ ٢٠٠٦/٣/٦م على حد ما تناقلته وكالات الأنباء.

وكان صادماً أن يصدر في مدينة غزة بيان وزع على وسائل الإعلام يعلن فيه عن تأسيس تنظيم إسلامي شيعي، ويحمل هذا البيان اسم (المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في فلسطين).

وجاء في البيان: (إننا وباسم الإسلام العظيم ومن قلب فلسطين نعلن عن تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في فلسطين).

وأضاف البيان على لسان رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى محمد غوانمة: (إن الجمهورية الإيرانية هي ركيزة المشروع الإسلامي العالمي على طريق إقامة خلافة إسلامية راشدة وعاصمتها القدس الشريف).

وأكد البيان: (إن مشروع المجلس الأعلى هو إسلامي دعوي، وإنه سيكون في دولة فلسطين).

وفي الثالث من يونيو/ حزيران ٢٠٠٨م، نقلت وكالة الأنباء الألمانية نص تصريحات مؤتمر صحفي مع قائد تنظيم (جيش الإسلام) في قطاع غزة (أبو محمد المقدسي) أطلق فيه تهديدات صريحة ضد مجموعات فلسطينية تم تشييعها بالمال الإيراني في قطاع غزة بحسب قوله، ونقلت الوكالة قوله لمجموعة من الصحفيين: (جيش الإسلام) اكتشف في قطاع غزة (مجموعة تتبع النهج الشيعي لدرجة أنهم يحيون شعائر الشيعة (الاثنا عشرية)، ويقومون بضرب أنفسهم بالسلاسل في بعض المناسبات).

وأضاف: (هذه المجموعة تتلقى تمويلها المباشر من إيران لتطبيق نهجها الشيعي تمهيداً للسيطرة على المنطقة).

وحذر المقدسي من (مخطط إيراني يلوح في الأفق يسعى إلى وضع موطئ قدم له على الأرض الفلسطينية)، متهماً إيران بالسعي لـ (ترسيخ منهجها الشيعي في قطاع غزة).

وشدد المقدسي على أن تنظيمه (سيجتث أي بذرة لهذا المخطط)، وهدد (بتصفية هذه العناصر؛ لتطهير القطاع من الفتنة وبذور الطائفية).

فهل يمكن لعاقل أن يتصور أن هذا السلوك الإيراني هو دعم لجبهة الصمود والمواجهة مع العدو الصهيوني؟ أم أنها بذلك تقدم خدمة عظيمة للصهاينة بتفتيت الصف الفلسطيني طائفيًّا؟ ولنا أن نتخيل لو أن هذه (الجيوب) الشيعية حصلت على السلاح وشكلت ميليشيات، كيف يكون وضع الأراضي الفلسطينية؟ بكل تأكيد سنرى عراقاً آخر بدمويته وتمزقه واهتراء نسيجه ما يتيح لعشرات من أجهزة الاستخبارات الأجنبية أن تتلاعب بمصيره واستقراره.

عمليات الاختراق الإيراني لفلسطين طائفيًّا تتستر بالعلاقات الخاصة مع حركات المقاومة، ونحن لا نعتب على حركات المقاومة في علاقاتها السياسية مع هذه الدولة أو تلك تحت وطأة الاضطرار، غير أننا نأمل في ألا يمنعها الحرج السياسي من وقف مثل هذا العبث بالنسيج الوطني الفلسطيني؛ لأن هذا الجانب أكثر حساسية وخطورة من أي خلاف سياسي آخر بين القوى الوطنية الفلسطينية.

وهل يمكن أن يصدق عاقل أو ناصح لأمته أن يعدّ هذا العبث الإيراني دعماً لمعسكر الممانعة والمقاومة، لمجرد أنها تخوض مواجهات إعلامية حتى الآن مع الأمريكيين على خلفية الكعكة العراقية، بينما هي تبيع المقاومة وصلابتها بحثاً عن كسب طائفي رخيص، ويباهي رئيسها علناً بأنه على استعداد للاعتراف بالكيان الصهيوني إذا تحققت مصالح بلاده مع الغرب؟![٦].

وفي النهاية، فإنه لا يمكن إنكار الدعم بالمال والسلاح وبالسياسة الذي قدمته إيران لحركتي (حماس) و(الجهاد) ولبعض الفصائل الفلسطينية الأخرى، لكن ما لا يمكن إنكاره أيضاً أن تطورات الأحداث في المنطقة بدءاً من الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، والحرب الإسرائيلية على جنوب لبنان صيف ٢٠٠٦م، ثم العدوان على غزة نهاية عام ٢٠٠٨م وبداية عام ٢٠٠٩م، كشفت النقاب عن أن هذا الدعم السخي لم يكن، لا من أجل فلسطين، ولا من أجل القضية الفلسطينية، وإنما من أجل الدور الذي يسعى إليه الإيرانيون في هذه المنطقة، ومن أجل استعادة نفوذ فارس القديمة في الإقليم كله.

لقد كان بإمكان طهران لو أن القضية الفلسطينية هي همها فعلاً، أن تساند غزة المحاصرة بإطلاق ولو أعداداً قليلة من صواريخها البعيدة المدى على دولة العدو الصهيوني.

ولقد كان من المفترض، لو أنه ليس لإيران حسابات أخرى غير حسابات فلسطين وقضيتها، ألا يُصدر علي خامنئي الفتوى التي أصدرها بمنع مواطنيه من التطوع للقتال إلى جانب الفلسطينيين، ومنع (حزب الله) من استخدام صواريخه لفتح جبهة قتالٍ أخرى عبر الجنوب اللبناني لتخفيف الضغط الإسرائيلي على أبناء غزة.

الهوامش:

(١) أسامة شحادة، حقيقة موقف الشيعة من الجهاد والمجاهدين في فلسطين، موقع المسلم، ٥ ديسمبر ٢٠٠٩م.

(٢) صالح القلاب، الحقيقة والوهم في مساندة إيران لفلسطين والثورة الفلسطينية!، جريدة الشرق الأوسط اللندنية، ٢٢-١-٢٠٠٩م.

(٣) عبدالمنعم الشحات، محاولة التغلغل الإيراني في المقاومة الفلسطينية وموقفنا منه، مقال منشور على مواقع إليكترونية عدة.

(٤) رجا طلب، طريق إيران إلى القدس يمر بماذا؟!، صحيفة الرأي الأردنية، ٦ سبتمبر ٢٠١٠م.

(٥) د. أيمن الهاشمي، أكذوبة اسمها يوم القدس العالمي، جريدة السياسة الكويتية، ٥ سبتمبر ٢٠١٠م.

(٦) جمال سلطان، العبث الإيراني الطائفي في فلسطين المحتلة!، جريدة المصريون، ٥-١٠-٢٠٠٨م.

الفصل الثاني والعشرون

سنة إيران يفضحون الأكاذيب

الفصل الثاني والعشرون

سنة إيران يفضحون الأكاذيب

أحوال أهل السنة في العراق، وفلسفة الدولة الإيرانية في النظر إليهم والتعامل معهم، ومنعهم من حقوقهم المشروعة بوصفهم أقلية مذهبية كبيرة، كل ذلك وصمة عار في جبين النظام الإيراني الذي يدَّعي الإسلام، والذي يخدع الناس بأنه ينفذ الشريعة، بل يطرح نفسه بوصفه نموذجاً يُحتذى في العالم الإسلامي.

وتتضارب المعلومات بشأن الحجم الحقيقي للسنة في إيران، فالإحصاءات شبه الرسمية لحكومة إيران تقول: إنهم يشكلون ١٠٪ من السكان، إلا أن بعض مصادر السنة تؤكد أنهم يشكلون ٣٠٪، وهو يوافق الإحصائية القديمة التي أجريت في أثناء حكم الشاه. وهناك مصادر أخرى تقول: إن السنة يشكلون من ١٥ إلى ٢٠٪ من سكان إيران، إلا أن مصادر أهل السنة تؤكد أنهم لا يقلون أبداً عن ٢٠ مليون سني من جملة عدد السكان البالغ ٧٥ مليون نسمة.

ويتوزع السنة على أطراف إيران بعيداً عن المركز الذي تشيع في أثناء الحكم الصفوي، وأكثرهم من الأكراد (شافعية) والبلوش (حنفية)

والتركمان (حنفية) والطوالش (الديلم، غرب بحر قزوين في محافظة غيلان ومحافظة أردبيل)، ثم يليهم العرب (خاصة في لنجة) وبعض الآذاريين (حنفية نقشبندية). أما الفرس الشافعية فكثير منهم في محافظة فارس، وبعضهم في طهران.

وأهل السنة يشكلون الغالبية في كردستان (من مدينة قصر شيرين شمال الأحواز إلى حدود أرمينية على طول حدود تركيا) وبلوشستان وبندر عباس والجزر الخليجية وبو شهر وتركمن صحرا (من بحر قزوين إلى حدود تركمانستان) وشرقي خراسان (تحدها، من الشمال تركمانستان، ومن ناحية الشرق أفغانستان). ويوجدون بوصفهم أقليات في كرمنشاه وخوزستان، ومناطق في محافظة لرستان، إضافة إلى من هاجر منهم للمدن الكبرى، كطهران وأصفهان ومشهد.

وتاريخيًّا، كان أهل السنة (الشافعية والحنفية) هم الأكثرية في إيران، وكان الشيعة أقلية، محصورة في بعض المدن الإيرانية، مثل قم، وقاشان، ونيسابور، ولما وصل الشاه إسماعيل الصفوي إلى الحكم سنة ٩٠٧هـ أجبر أهل السنة على التشيع، حين خيرهم بينه وبين الموت، ففرض التشيع على الإيرانيين بالقوة، وجعل شعاره سب الخلفاء الثلاثة، وكان شديد الحماس في ذلك، سفاكاً لا يتردد أن يأمر بذبح كل من يخالف أمره أو لا يجاريه، وقيل: إن عدد قتلاه زاد على ألف ألف نفس (أي: مليون سني)، وانتشر المذهب الشيعي بالتدريج في وسط إيران، نتيجة لهذا القهر والعنف والقتل وإراقة الدماء، بينما بقي أهل السنة في الأطراف.

وأهل السنة في إيران مقسمون إلى ثلاث عرقيات رئيسة: هي الأكراد والبلوش والتركمان، وقليل من العرب في إقليم عربستان (الأحواز). أما المسلمون السنة من العرق الفارسي فوجودهم نادر.

ويتمركز سنة إيران بالقرب من خطوط الحدود التي تفصل إيران عن الدول المجاورة ذات الأغلبية السنية مثل باكستان وأفغانستان والعراق وتركمانستان.

والسنة في إيران هم الأكثر فقراً والأقل تعليماً والأبعد سكناً عن العاصمة طهران، التي يمنع أهل السنة من إقامة مسجد لهم فيها حتى الآن، على الرغم من الكثير من المناشدات والوعود. وتبرر الحكومة رفضها بأن المساجد الشيعية مفتوحة أمام أهل السنة ليصلوا فيها، وأنه لا داعي لبناء مساجد خاصة بهم ضماناً للوحدة.

وحين اندلعت الثورة في إيران عام ١٩٧٩م، شارك أبناء أهل السنة بكل أطيافهم فيها، وكان علماؤهم وشبابهم في مقدمة المتظاهرين، وقدّموا مئات الأرواح في سبيل نيل الحرية والخلاص من الظلم والاستبداد وإقامة الجمهورية الإسلامية.

لكن بعد انتصار الثورة وسقوط نظام الشاه بأشهر قليلة، بدأ الخميني وتلاميذه مسلسل الخداع الذي مازال مستمراً حتى اليوم؛ لاحتكار السلطة والسيطرة على الحكم، بعدما نجحوا في تحويل آمال الشعب في إقامة جمهورية إسلامية إلى إقامة جمهورية طائفية شيعية، واستعملوا السلطة؛ لقمع الأقليات المذهبية والقومية، واتخذوا مذهبهم الشيعي الإمامي (الاثنا

عشري) مصدراً للدستور، وبدأ المسلسل المشبوه لتشجيع الشيعة على معاداة أهل السنة، مستفيدين من جميع الوسائل السياسية والاقتصادية والإعلامية المتاحة لهم.

منذ ثورة الخميني حتى اليوم، يمارس النظام الإيراني أبشع أنواع الظلم والتميز ضد علماء ودعاة وشباب وطلبة ومثقفي وأبناء أهل السنة.

وإذا كان حكام إيران يتحدثون عن حرية أهل السنة في بيان عقائدهم وممارسة طقوسهم، فهذا كله كذب، فالجاري على أرض الواقع أنه يتم منع أئمة وعلماء أهل السنة من إلقاء الدروس والخطب في المدارس والمساجد والجامعات، فكل ما سبق يجب أن يكون بأمر من وزارة الإرشاد الإسلامي وتحت مراقبة وزارة الأمن والاستخبارات، ويجب ألا يخرج الإمام عن الحدود المقررة له وإلا اتهموه بالوهابيّة.

والأدهى من ذلك أن مراكز أهل السنة ومساجدهم تحت المراقبة الدائمة وتجسس رجال الأمن وأفراد الاستخبارات، خاصة أيام الجمعة.

أهل السنة، أيضاً، ممنوعون من جميع وسائل الإعلام والنشر، فهي مخصصة فقط لأبناء الطائفة؛ كي يستخدموها لضرب أهل السنة وإضعافهم، وهم أيضًا ممنوعون ومحرومون من تأسيس المنظمات وتنظيم الندوات والاجتماعات مهما كان نوعها أو حجمها.

أما الكتب الدينية، والعقائدية منها خاصة، مثل كتب ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبدالوهاب، فمحرم بيعها وشراؤها، كما هو محرم وممنوع دخول أي كتاب أو أي منشورات أو مجلات إسلامية من الدول العربية أو الإسلامية إلا بعد أن تمرّ على وزارة الإرشاد الإسلامي وتوافق عليها.

أما اعتقال وسجن مشايخ أهل السنة وعلمائهم وطلبة العلم والشباب المخلص الملتزم، فإنه من قبيل الأحداث اليومية المتكررة، تحت ذرائع واهية وكاذبة وملفقة.

ففي السجون الإيرانية الآن رموز لمشايخ وعلماء أهل السنة وطلبة العلم مثل: مولانا عبدالله قهستاني، الشيخ عبدالعزيز سليمي، الشيخ أحمد رحيمي، مولانا إبراهيم دامني، مولانا عبدالغني شيخ جامى، مولانا عبدالباقي شيرازي، مولانا سيد أحمد حسيني، الشيخ عبدالقادر عزيزي، الشيخ عبدالله حسيني، مولانا جوانشير داوودي، مولانا نور الدين كردار، مولانا سيد محمد موسوي، الشيخ عمر شابري السنندجي، مولانا غلام سرور سربازي، الشيخ خالد رحمتي.

الاغتيال والاختطاف والإعدام للعشرات من العلماء والدعاة البارزين والمثقفين وطلبة العلم، سياسة دائمة ومستمرة للنظام الإيراني، ودماء هؤلاء شاهدة على الجريمة: الشيخ العلامة ناصر سبحاني، الشيخ عبدالوهاب صديقي، الشيخ العلامة أحمد مفتى زادة، الشيخ الدكتور علي مظفريان، الشيخ عبدالحق، الشيخ الدكتور أحمد ميرين سياد البلوشي، الشيخ محيي الدين خراساني، المهندس فاروق فرصاد، الشيخ العلامة والقارئ الكبير محمد ربيعي، الأستاذ إبراهيم صفي زادة، الشيخ نظر محمد البلوشي، الشيخ دوست محمد البلوشي، الشيخ محمد ضيائي، الشيخ عبدالملك ملازادة، الشيخ عبدالناصر جمشيد زهي، الشيخ القاضي بهمن شكوري .. وغيرهم العشرات والمئات من النشطاء السنة.

ومع أن النظام الإيراني كان ينكر دوماً أنه يقوم باضطهاد أهل السنة في إيران أو يعذبهم، ولكنه اضطر أخيراً تحت ضغط الصحافة ووسائل الإعلام،

إلى الاعتراف بأن عدداً من رجال النظام قاموا بأعمال عنف ضد المسلمين السنة وغيرهم من المعارضين، غير أن السلطات زعمت أن ذلك لم يحدث بأوامر رسمية.

كل التصرفات السابقة ألقت بآثارها على أهل السنة، وجعلتهم محرومين من المشاركة في إدارة شؤونهم، وأبعدتهم عن المشاركة في أمور الدولة عامة.

ومن أجل أن يثبت علماء أهل السنة حسن نياتهم، وحرصهم على الوحدة الوطنية، فقد حثّوا المجتمع السني على المشاركة في جميع الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، وغيرها؛ للتعبير عن حسن نياتهم، ولكي لا يتهموا بمقاطعة الحكومة والنظام، ليتخذ ذلك وسيلة للزيادة في اضطهادهم. وقد سعى كثير من العلماء والشخصيات الفكرية السنية البارزة، طوال الوقت على إيصال صوت مظلومية أهل السنة، إلى أعلى المسؤولين في النظام الإيراني، إلا إن كل تلك المواقف، والمساعي الحثيثة طوال عمر النظام الإيراني الحالي قد باءت بالفشل، ولم تفلح في رفع سيف التمييز الطائفي من على رأس أهل السنة، وبقيت النخب السنية محرومة من حصتها في المناصب السياسية والإدارية العليا، كمنصب نائب رئيس الجمهورية، أو منصب وزير، أو معاون وزير، أو وكيل وزارة، أو محافظ، أو سفير. وحتى في المناطق ذات الأغلبية السنية، لم تراعَ العدالة في توزيع المناصب، فالغلبة فيها دائمًا للشيعة، وفي الكثير من المناطق السنية يتعامل مسؤولو الدوائر الحكومية وفق مزاجهم، ضاربين بالقوانين والمقررات، عرض الحائط ما تسبب في سلب الحقوق القانونية للسكان السنة.

زار مفتي أهل السنة في إيران مصر والأزهر الشريف، والتقى فضيلة شيخ الأزهر (د. محمد سيد طنطاوي)، وبعد محادثات جرت بينهما ادّعى

الوفد المذكور (الذي يعبر عن وجهة النظر الرسمية) أن أهل السنّة فى إيران يشكلون عشرين في المئة من السكان، ولهم عشرون ممثلاً في البرلمان، ولديهم المناصب القيادية، ولهم مساجدهم ومدارسهم الخاصّة بهم، ما أثلج صدر شيخ الأزهر، وأثنى عليه، وليته علم أن هذا كذب وتضليل، فالدستور الإيراني جعل منصب رئاسة الوزراء للجعفري فقط، أمّا الوزراء وهيئة الدولة، فمنذ انتصار الثورة حتى الآن لم تعرف هذه المناصب طريقًا لأهل السنة، ولم نسمع - حتى الآن، منذ أكثر من ثلاثين سنة - عن وزير سنّي أو نائب وزير أو سفير أو محافظ أو رئيس جامعة أو أي منصب قيادي سني!

أمّا الممثلون في البرلمان كما ادّعى الوفد المذكور، فصحيح أنه يوجد للسنة عشرون ممثلاً، ولكن عدد السكان في إيران من أهل السنّة يقتضي أن يكون لهم أكثر من خمسين ممثلاً، وإن العشرين نائباً جاؤوا بعد أكثر من تصفية وتطهير، وإن الكفاءات والنخب الحقيقية هم الذين لم تؤيدهم الحكومة، وهم الذين ردت هيئة الرقابة كفاءتهم وصلاحيتهم، ومنعتهم من تمثيل قومهم السنة.